

معالم الشريعة

تأليف
حسين بن محمد الخالدي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿المقدمة﴾

الحمد لله . . والصلاة والسلام على رسول الله . . أما بعد :
فهذه معالم ومنازل على طريق الدين . . كتبها لأخواني المقبلين على طاعة الله . . فسهلت معانيها . .
ولينت مبانيها . . رجاء أن ينفع الله بها كاتبها ومتلقيها . .
هذا ومن الله الحول والقوة . . وبه الاستعانة . . وعليه التكلان . . وفيه الرجاء . . وإليه المآب . .

المعلم الأول: مقدمات أساسية في الدين:

المقدمة الأولى: جوهر الدين:

اعلم - رعاك الله - أن الدين في جوهره علاقة بين المخلوق المفتقر والخالق المقدر . . . ولهذه العلاقة دوافع ومسوغات . . . ولها حقوق ومقتضيات . . . ولها آثار وثمرات . . . وهي علاقة فطرية المنشأ والمسار . . . عقلية المنزع والمثار . . . تلبية القبس والمنار . . . حسية المعطى والثمار . . . تتسم بالعمق الوجداني إلى الصميم . . . وبالامتداد السلوكي المنتشر في تفاصيل الاهتمامات والتعلقات والعلاقات . . . وهي علاقة حيوية تؤثر وتتأثر . . . فتتطور في المناخ الصحي . . . وتدهور في مناخ الشهوات والشبهات . . . تبدأ مع الإنسان منذ لحظة ميلاده . . . وتتصل إلى لحظة وفاته . . . ثم تبدأ بعد الوفاة المحاسبة عليها . . . والمساءلة عن حقوقها . . . ثم المجازاة بحسبها . . . إن خيراً فخير . . . وإن شراً فشر . . . "فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره" (الزلزلة ٧)

وعلاقة بهذا العمق العقائدي . . . وبهذا الحجم الموضوعي . . . وبهذا الامتداد الزماني . . . وبهذه المصيرية الجزائية . . . علاقة كهذه لا بد وأن تتمحور حولها حياة الإنسان . . . فكراً . . . وشعوراً . . . وسعيًا . . . وموقفًا . . . قال تعالى "قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين" (الأنعام ١٦٢)

إنها علاقة تبدأ بالإقرار الفطري بالخالق . . . ثم التعرف - ببديهة العقل - على كمالاته . . . والنظر في آلائه . . . ثم تلقي شرائعه عن رسله . . . ثم القيام بحقه . . . حباله . . . وذلال لعظمته . . . واعترافاً بفضله . . .

وتوسلا إلى رضاه . . . وتجنبنا لسخطه . . . وشكرا له على نعمه . . . وذلك بالاستقامة على شريعته . . .
واتباع سنة نبيه . . . ثم انتظار ثوابه . . . والتطلع إلى وعده . . . قال تعالى " لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من
فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار، وعد الله، لا يخلف الله الميعاد " (الزمر ٢٠) . . . والتقوى هي
الدرجة العليا من الدين . . .

المقدمة الثانية: أثر الدين على سلوك الفرد والمجتمع:

اعلم - هديت لكل فضيلة - أن قيمة الإنسان تكمن فيما يسكن عقله من عقائد وقناعات وقيم وقدرات . . وما يستوطن وجدانه من عاطفة وتعلقات . . وما يستقر في قلبه من اهتمامات . . ثم ما ينتج عن ذلك كله من أقوال وأعمال . . وبمجموع هذه الأمور يقوم بناء (شخصية الإنسان) التي هي قيمته وحقيقته المستترة خلف صورة جسده . . وقد جاء في الحديث "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم" رواه مسلم (٢٥٦٤)

وبفحص هذه المقومات نجد أن أكثرها فعالية وأعظمها أثرا - على المدى الواسع للحياة لا في حدود موقف معين - هو المحتوى الفكري بما يحمله من عقائد وقيم ومثل . . وبما فيه من مخزون علمي وتاريخي وتجريبي يدعم هذه المثل ويزيد من اتساع سلطتها في حياة الإنسان . . وكلما كان الإيمان بتلك العقائد والقيم أعمق وأرسخ كان الاستسلام لمقتضاها والتمشي مع متطلباتها في السلوك والمعاملة أظهر وأثبت . .

ولذا فإن الخطوة الأولى لصلاح الإنسان واللينة الأولى في بنائه هي تقويم الفكر الذي يهيمن على حياته ويمد نفوذه إلى أعماق ضميره . . كما أن أصل فساد الإنسان وأعظم معاول هدمه هو العبث بالفكر الذي يركن إليه ويضع كل طاقاته واستعداداته تحت تصرفه . . الفكر بمحتواه العقائدي والقيمي والأخلاقي وبرصيده العلمي والتجريبي . . ثم بعد الفكر تأتي العاطفة المنتشرة في روح الإنسان . . وبعد ذلك . . الاهتمام الآتي الذي هو انعكاس للفكر والعاطفة جميعا وبعدها يتحرك الإنسان ويتكلم ويتعامل

ويقوم العلاقات ويكافح ويناضل ويبني ويهدم ويصل ويقطع بحسب الإشارة النهائية المنبعثة من القلب . . وبهذا يظهر على سطح الحياة ما كان باطنا في زوايا الفكر وخبيايا الوجدان . . ومن هنا جاء في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب" متفق عليه (خ ٥٢-م ١٥٩٩) . . فالقلب هو مستودع العقائد الدينية . . والقيم الأخلاقية . . والقناعات الفكرية . . والأعمال الإيمانية الباطنة . . والاهتمامات الحاضرة . . وكأنه خلاصة الإنسان نفسه . . وما الجوارح إلا خدام للقلب . .

ولو أردنا أن نختصر هذه المعاني في كلمة واحدة لكانت كلمة (الدين) ففي الدين المعارف العقائدية . . وفيه المبادئ والأصول الفكرية المتعلقة بقناعة الإنسان بوجوده ودوره في الحياة ومصيره بعد الممات . . وفيه العاطفة الوجدانية في أسمى معانيها وأقصى درجات تأثيرها . . وفيه الترغيب والترهيب الذي يثير العزائم ويوجه المساعي . . ومن مميزات الدين أنه يلم شتات الإنسان حول المبدأ الأكبر في حياته . . ويحول كل أنشطته إلى مسارات منسجمة مع هذا المبدأ . . فهو منظم عقلي ووجداني وموجه تربوي في آن واحد . . وللدين بطبيعته تأثير بالغ وظاهر على صاحبه بحيث يكفل لتعاليمه أن تكون جزءا من واقع الإنسان - بل الجزأ الأهم في واقعه - لا مجرد خيالات وأمنيات وتوصيات . . ومتى ما فقد الإنسان الدين تبعر فكره وتمزق وجدانه وانتشرت اهتماماته وضاع في حياته . . وانفلت من كل قيد يقدر على الانقلاط منه . . وصار مجرد رقم يحسب على الإنسانية كجسد دون أن تتحقق فيه الإنسانية كروح وقيم ومعانٍ . . فتراه عبدا للشيطانه . . منشغلا بنزواته . . لاهثا خلف لذته العابرة

.. مستهترا بكل معنى كريم يحول بينه وبين مآربه الرخيصة التافهة .. وتمر حياته القصيرة وهو يترنح بين
جشعه الذي لا يقف عند حد وبين قلقه النابت في صحراء أوهامه .. ثم تنتهي الحياة وما رضى منها بيوم
ولا طابت له ساعة .

ويدهي جدا أن الأديان - بحسب ما انتهت إليه - ليست على درجة واحدة في الوصول إلى الحالة
الإنسانية الكمالية لكنها لا تخلو جميعا من بقايا بقيت وعلاق علفت من آثار الأنبياء .. وكل ما في الديانات
من حق فهو من بقايا النبوات التي وصلتها منهم أو من أخذها عنهم .. وكل ما فيها من باطل فهو من صنع
البشر وتاج عقولهم ..

ولأن الإسلام هودين الحق الكامل التام من عند الله فهو أعظم خطط الإصلاح التي يمكن أن تقدم للبشرية
شاردة تائهة متخبطة في الظلمات .. إن الإسلام الذي جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم ليس ديننا نافعا
للآخرة فقط .. لا .. بل منفعة الدنيوية وما يحققه للبشرية من مصلحة عامة أمر لا يقدر قلبي على
وصفه وبيان تفاصيله لعظم شأنه وغزير نفعه وعميق أثره .. وإن من أعظم الأخطاء ظنَّ من يظن من
المسلمين أنه يتمسك بدين الله رجاء النجاة في الآخرة فقط وفي داخله تصور مبهم وفهم مرتبك لقيمة الدين
في هذه الدنيا ودوره العظيم في إصلاحها وسعادة أهلها .. وهذا كما أنه من أسباب ضعف الإيمان هو
كذلك أعظم أسباب الانهزام أمام التجارب الطفولية التي يقدمها الغرب كثقافة وقيم أخلاقية .. والله ما
ثقافتهم - في وجهها الأخلاقي وقيمها الفكرية - إلا نزوة عابرة طاشت فيها البشرية وستعود نادمة
متحسرة حين لا ينفعها الندم ..

ولو كان هذا موضع القول لاشتقى .. غليلي ولكن للمقال مواضع

ولنا أن نقول بجزم إن الدين حاجة إنسانية على المستويين الفردي والجماعي . . أما الفردي فلأنه لا شيء سوى الدين يجيب على تساؤلات عقل الإنسان تجاه الحياة من المبدأ حتى المعاد . . ولا شيء سوى الدين يتجاوب مع الفطرة الإنسانية المتوثبة لمعبود تعبده . . ولا شيء سوى الدين يروي ظمأ الوجدان . . ولا شيء سوى الدين يضبط سلوك الإنسان بقواعد الخير حضا ومنعا . . وأما على المستوى الجماعي فلأن الدين هو الضمان الوحيد والأكيد لسريان قوة القانون العام في ضمير الإنسان . . ليكون الالتزام بمصالح الجماعة أحد مكونات السلوك الفردي سرا وعلانية من غير احتيال ولا تهرب ولا تعدي . . وفي ظل الدين يوفر المجتمع على نفسه الكثير من الجهود في مكافحة الجريمة والعقوبة عليها . . فالجريمة في المجتمع المتدين وإن كانت لا تختفي تماما لكنها تنحسر انحسارا كبيرا وتحاصر بقواعد الفضيلة المجتمعية أكثر مما تحاصر بقواعد القانون . .

المقدمة الثالثة: أصول الديانة الإسلامية:

يقوم الدين الإسلامي على أصلين عظيمين . . وهما ما يلي:

الأصل الأول: أن لا يعبد إلا الله تعالى . . فالعبادة التي هي غاية الحب مع غاية الذل والتعظيم . . المتمثلة بما أمر الله به من قربات وطاعات . . حقها أن لا تصرف إلا لله تعالى . . ولا يستحق شيئاً منها أحد مع الله جل وعلا . . لا نبي مرسل . . ولا ملك مقرب . . ولا ولي صالح . . وليس لأحد من الخلق فيها نصيب . . لا على وجه الاستقلال . . ولا على وجه الشراكة . . ولا على وجه التوسط . . ولا على وجه الرمية . . قال تعالى "قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما ألهمكم إليه واحد، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً" (الكهف ١١٠)

والعبادة التي أمرنا الله بها تتضمن في كل مظهر من مظاهرها ثلاثة مقومات: المحبة لله تعالى . . والخوف من عقابه وعذابه . . والطمع في عطائه وثوابه . . هذه هي المقومات الذاتية للعبادة . . وهذه هي مضامين تعبيراتها . . وهذه هي بواعث إنشائها . . وهذه هي روح صورها المتنوعة . .

وقبول العبادة متوقف على تحقيق أمرين فيها . . إخلاص القصد لله تعالى في إنشائها وممارستها . . وموافقة الهدي النبوي في طريقة أدائها . . فإذا تلوث القصد بشائبة الرياء حبطت العبادة . . وإذا خرج بها المكلف عن الهدي النبوي ردت إليه غير مقبولة . .

قال تعالى "وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء" (البينة ٥) . . وقال تعالى "قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم" (آل عمران ٣١) . . فانظر كيف جاء الاتباع في هذه الآية

متوسطا بين محبتين . . . وفي صحيح مسلم (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركه وشركه"

. . وفي الصحيحين (خ ٢٦٩٧-م ١٧١٨) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" أي مردود . .

والعبادة يتحقق في ضمنها أمور . . أولها: الاتقياء لله تعالى وإظهار محبته وتعظيمه والذل له . . وهذا أعظم مقاصدها . . ثانيها: الأخذ بأسباب الفوز برضا الله تعالى والنجاة من عقابه والتنعم بثوابه العظيم . . وأنعم بهذه العاقبة . . ثالثها: موائمة الفطرة البشرية . . الأمر الذي يحقق السكون والاطمئنان في وجدان الإنسان . . رابعها: الاستجابة لداعي العقل الذي يلح على صاحبه بأسئلة كبيرة وكثيرة حول سر وجوده . . والغاية التي وجد لأجلها . . والمصير الذي سينتهي إليه . . خامسها: الدخول في المنهج الرباني الذي تنظم به الجماعة البشرية وتألف فيه الطوائف والأعراق والأمم . . سادسها: إقامة الحياة على أساس القيم الدينية التي تصبغ العلاقات الأسرية والاجتماعية بالرحمة والمودة . . سابعها: إخضاع أنظمة الدولة لنظام شرعي يقوم اعوجاجها وينقيها من الظلم والعدوان . . ويقيها شر الإنسان . . ثامنها: صياغة الإنسان صياغة إسلامية . . تحدد لعقله المقدمات الصحيحة والمعايير الصائبة . . وتظهر وجدانه من غوائل الشر الغريزي . . وترشد منطقته وسلوكه . . وترتقي باهتمامه . . وتوجه طموحاته الوجهة المثلى . . فيصبح للإنسان رؤية واضحة المعالم تجاه نفسه . . وتجاه محيطه الكوني . . ويصبح للإنسان وجهة بينة المراسم في مراداته . . وفي مساعيه . . ويصبح للإنسان قيم عليا تتأسس عليها

علاقاته . . ومواقفه . . فيجتمع بذلك شتات الإنسان . . ويصبح لفضاءات فكره ومشاعره ورغباته وتطلعاته مركزاً تتمحور حوله . . وتنجذب إليه . .

لذا نقول باطمئنان إن الفارق بين شخصية المسلم وشخصية الكافر . ليس بهين . . بل هو فارق بين نموذجين من البشر . . ونمطين من أنماط التفكير . . وأسلوبين من أساليب الحياة . . ومحاولة المقارنة بين النوعين هي في حقيقتها دمج لمتناقضين . . وخلق لضدين . . ولا ينشأ عنها إلا تحطيم النموذج الأكمل لصالح النموذج الأسوأ . . وذلك لإشباع النزعة الاستغلالية للثقافة الغربية الصائلة على بلاد المسلمين . .

وهذا الأصل - أن لا يعبد إلا الله - هو الغاية من خلق الجن والإنس . . وهو مضمون دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام . . وهو حق الله على عباده . . قال الله تعالى " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين " (الذاريات ٥٦) . . وقال تعالى " ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين " (النحل ٣٦) . . والطاغوت كل معبود أو معظم أو متبوع من دون الله تعالى . . وفي حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا " الحديث متفق عليه (خ ٧٣٧٣-م

(٣٠)

ومن لم يحقق هذا الأصل فلا يقبل منه عمل . . ولا يغفر له . . ولا ترجى له شفاعة . . ولا يدخل الجنة . .
ولا ينجو من النار . . قال تعالى "ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك
وتكونن من الخاسرين" (الزمر ٦٥) . . وقال تعالى "إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً" (النساء ٤٨) . . وقال تعالى "وبرزت الجحيم للغاوين . وقيل لهم
أن ما كنتم تعبدون . من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون . فكذبوا فيها هم والغاوين . وجنود
إيليس أجمعون . قالوا وهم فيها يختصمون . تالله إن كنا لفي ضلال مبين . إذ نسويكم برب العالمين . وما
أضلنا إلا الجرمون . فما لنا من شافعين . ولا صديق حميم" (الشعراء ٩١) . . وقال تعالى "إنه من يشرك
بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماأواه النار وما للظالمين من أنصار" (المائدة ٧٢) . .

الأصل الثاني: أن لا يعبد الله إلا بما شرع على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم:

فتحديد نوع العبادة . . وسببها . . ووقتها . . وهيئتها . . وعددها . . وزمانها . . ومكانها . . كل
ذلك خاضع لقاعدة الاتباع . . وراجع إلى الهدى النبوي . . فلا مجال في العبادة للاختراع . . ولا
الاقتراح . . ولا الاستحسان العقلي . . ولا التذوق الوجداني . . ولا الميل الطبيعي . . ولا المصلحة
السياسية . . ولا الغرض الشخصي . . ولا الهوى القلبي . . ولا النزعة النفسية . . ولا الإلف
الاجتماعي . . ولا الميراث الجاهلي . . ولا التواصل الثقافي . . ولا التلاقي الحضاري . . ولا الضغط
العولمي . . ولا استرضاء الغرب أو الشرق . . لأن العبادة في جوهرها قرينة يتقرب بها العبد لربه . . والقرينة
إلى الله إنما تكون بما يرضيه جل وعلا . . ومحل الرضا لا يعلم إلا من جهته سبحانه . . وذلك بما أوحاه

على نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم . . . وبالتالي فكل أجنبي عن الوحي فلا وجه لاعتباره والاعتداد به . . .

وما شرعه الله لعباده من القربات والطاعات وإن كما ندرك وجهه إجمالاً - بما بين الله في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم - إلا أننا لا ندرك تفاصيل الحكم المنطوية فيه . . . ولا نحيط علماً بالحكم المرتبطة بمتعلقاته الزمانية والمكانية والعديدية وغير ذلك . . . لذا فلا مدخل للرأي في هذا الميدان . . .

ولو فتح باب الاقتراح والاستحسان لحل بالشرعية خطب عظيم . . . فإن تفاوت الأفهام . . . واختلاف النزعات . . . وتنوع الأغراض . . . وتباين المنطلقات . . . وتغاير المعايير . . . وتضارب المآلات . . . كل ذلك ينحوب بالشرعية - وحاشاها - منحنى التبدل والتغيير . . . ويؤسس لفوضى عبادية منعدمة النظير . . .

ومن هنا ضبطت العبادة بضابط الاقتداء . . . وحكمت بقاعدة التأسّي . . . ولا عبرة بما يديه أهل البدع من حجج في استحسان ضلالهم . . . لأن كل (المصالح الشرعية) التي يتطلع المبتدعة لتحصيلها في مخترعاتهم العبادية متحققة يقيناً في العبادات المشروعة . . . والذي لم يتحقق بالعبادة المشروعة من تلك المصالح المنشودة فهو مصلحة مزعومة موهومة لا حقيقة لها . . . إذ ما من خير إلا وقد جاءت به شرعة الرحمن . . . وما لم تأت به فليس من الخير بسبيل . . . قال تعالى "فماذا بعد الحق إلا الضلال" (يونس ٣٢)

ولذا جاء النص في ذم البدع والمحدثات واضحاً صريحاً . . . فعن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول "صبحكم ومساكم" ويقول "بعثت أنا والساعة كهاتين" ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى، ويقول

"أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة

ضلالة" الحديث رواه مسلم (٨٦٧)

وهذان الأصلان هما مدلول الشهادتين . . شهادة أن لا إله إلا الله . . وشهادة أن محمدا رسول الله . . لا

جرم كان النطق بالشهادة أول واجب على المكلف . . ففي حديث ابن عباس رضي الله عنه أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذًا إلى اليمن قال "إنك ستأتي قوما أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى

أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله" وفي رواية "فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله"

الحديث متفق عليه (خ ١٣٠ - م ١٩)

المقدمة الرابعة: مصادر تلقي الدين الإسلامي:

الدين الإسلامي رسالة إلهية بعث الله بها محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة . . وذلك من خلال الوحي إلى رسوله الكريم . . والوحي الإلهي الذي أوحى به إلى النبي المصطفى يتمثل في كلام الله تعالى القرآن . . وفي السنة المبينة له . . كما قال تعالى "لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة" (آل عمران ١٦٤) . . وقال تعالى "وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى" (النجم ٣) وفي حديث المقدم بن معدي كرب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه" الحديث رواه أبو داود (٤٦٠٤) من طريق عبد الرحمن بن أبي عوف . . ورواه الترمذي (٢٦٦٤) وابن ماجه (١٢) من طريق الحسن بن جابر اللخمي . . كلاهما (عبد الرحمن والحسن) عن المقدم به وله شاهد بمعناه من حديث أبي رافع عند أبي داود (٤٦٠٥) والترمذي (٢٦٦٣) وابن ماجه (١٣) فلا ينزل عن درجة الحسن بشواهد إن شاء الله تعالى وحسنه بشواهد الوادعي في دلائل النبوة (٥٩٢) . . . لذا صارت السنة مصدرا تشريعيا لازما . . وصار وجوب الاحتكام إليها والأخذ بها والعمل بما فيها من المعلوم في الدين بالضرورة . . وقد أمر الله تعالى بطاعة رسول الله واتباعه في نصوص كثيرة . . ومن ذلك قوله تعالى "من يطع الرسول فقد أطاع الله" (النساء ٨٠) وقوله تعالى "فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم" (النور ٦٣) . . وقوله تعالى "وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا" (الحشر ٧) . . وفي البخاري (٧٢٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال "كل أمي يدخلون الجنة إلا من أبي" قالوا: يا رسول الله، ومن أبي؟ قال "من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبي".

وعن هذا الوحي الشريف . . . وتحت مظلة . . . وفي نطاق حكمه . . . تتفرع الأدلة الفرعية كالإجماع . . . والقياس . . . وقول الصحابي . . . وغير ذلك . . . وكل دليل فرعي فشرط إمضائه والعمل به أن لا يخالف نصا شرعيا ولا يهدر معنى مرعيا . . .

على أن هذه الأدلة في جوهرها تؤول إلى النص . . . فالاستصحاب رجوع لحكم أصلي مستفاد من النص . . . والقياس عمل بمعنى خاص مستفاد من النص المعين . . . والمصالح المرسلة عمل بمعنى عام مستفاد من النصوص وهو توخي المصالح المناسبة لمقاصد الشريعة في مجال الوسائل . . . والإجماع اتفاق أفهام المعبرين على مؤدى النص الخاص أو النصوص العامة . . . والأخذ بقول الصحابي أخذ بفهم للنص منوه به شرعا . . . والعرف ما هو إلا ضابط لتحقيق مناط النص . . . فدارت الأدلة الفرعية حول النص . . . ومعناه . . . وفهمه . . . وتحقيق مناطه .

المعلم الثاني القضايا التي يتألف منها موضوع الدين:

موضوع الدين يتمحور حول أربع قضايا رئيسية . . وهي ما يلي:

القضية الأولى: الله جل جلاله . .

الله جل وتبارك هو المقصود بالدين . . وهو المستعان في القيام بحق الدين . . وهو المرجو في نيل ثواب

الدين . . فالدين كله من أوله إلى آخره يدور حول الحق تبارك وتعالى وتقدس . .

لذا كان القرآن كله بياناً عن الله . . إما بيان لكلماته الاسمية والوصفية والفعلية . . وإما بيان لحقوقه

وأوامره ونواهيه . . وإما بيان لجزائه في العاجل أو الآجل . .

وعلى هذا فالدين يبدأ من التعرف على الله تعالى . . التعرف على خصائص وجوده المقدس . .

والتعرف على أسمائه الحسنى . . والتعرف على صفاته العليا . . والتعرف على أفعاله جل وعلا . .

والتأمل في آثارها في الخلق . . وفي النفس . .

ومن هذه القاعدة في المعارف الإلهية ينطلق العبد في تفقه مراد الله الشرعي . . وفي تفهم ما يسعه فهمه من

أصول القضاء والقدر . . وعلى أساس هذه المعارف الإلهية يتلقى المكلف الأخبار عن وعد الله

ووعيده . . والأنباء عن ثوابه لأولياته وعقابه لأعدائه . .

إذا تمهد لك هذا فنيما يلي الأصول التي يقوم عليها بناء المعرفة بالله تعالى . . وفيها طريق الوصول إلى

مرضاته جل وعلا:

الأصل الأول : أن الله جل وعلا له الكمال المطلق من كل وجه . . لا يتعلق به نقص بوجه من الوجوه . .
قال تعالى " ولله المثل الأعلى " (النحل ٦٠) أي الصفة العليا . . وقال تعالى " سبحان الله عما يصفون "
(الصفات ١٥٩) أي تنزه الله تعالى عما يصفه به المشركون الذين يجهلون عظمته وكماله تبارك ربنا
وتقدس . .

الأصل الثاني : أن الله جل وعلا حي قيوم غني بنفسه عن خلقه . . بل هو القائم على خلقه مع كمال
غناه عنهم تبارك وتعالى . . قال تعالى " الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات
وما في الأرض " الآية (البقرة ٢٥٥) . . وقال تعالى " قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون . لله ما في السماوات
والأرض إن الله هو الغني الحميد " (لقمان ٢٥)

الأصل الثالث : أن الله جل وعلا هو الخالق لهذا العالم . . وهو رب الذي يدبر الأمر فيه . . والخلق كله
خاضع لتدبيره جل وعلا . . قال تعالى " إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى
على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر
تبارك الله رب العالمين " (الأعراف ٥٤) . .

الأصل الرابع : أن الله تعالى منفرد بخلق هذا العالم وتدبيره والسيادة عليه . . لا يشاركه في ملكه أحد
. . ولا يعينه على تدبيره أحد . . ولا يقاسمه السيادة أحد . . ولا ينازعه في شأنه أحد . . ويستتبع
هذا الانفراد في ربوبية الخلق انفراده تبارك وتعالى باستحقاق العبادة والطاعة . . إذ العبادة لا تكون إلا
لمستحق لها . . واستحقاق العبادة لا يتأتى إلا من جهة ملك المعبود لعابده . . أو القدرة عليه وإمضاء

المراد فيه . . أو إمداده بالنعم والمنة عليه . . أو الانفراد بالكلمات الذاتية عنه . . وهذه الوجوه كلها منقبة عن غير الله تعالى . . لا جرم صارت عبادة غير الله سفاهة في العقل . . لا ينهض بها استدلال . . ولا يتقنع بها حس ولا يطمئن إليها وجدان . . ولا تأنس بها فطرة . . ولا يحصل بها مقصود . . فلما دلت وحدة نظام الكون على وحدانية الخالق تبع ذلك بضرورة العقل وحدانية الإله المعبود تبارك وتعالى . .

قال تعالى "أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون . لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون" (الأنبياء ٢١) . . (فيهما) أي في الأرض والسماء . . و(إلا الله) يعني غير الله . . وقال تعالى "ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون" (المؤمنون ٩١) . . أي لو كان مع الله آلهة أخرى لانفرد كل إله بحظه من الخلق فانقرط عقد نظام الكون . . ولقام بينهم ما يقوم بين الأنداد والأضداد من تعالب وتنازع . . ولو حصل ذلك لظهر أثره جلياً في المخلوقات . . فلما لم يقع علم أنه ليس في الكون سوى إله واحد تبارك وتعالى . .

الأصل الخامس : أن الله خلقنا لحكمة . . وهذا يتفرع عن إثبات الحكمة لله جل وعلا . . ولوحة الكون كلها تدل على حكمة الخالق سبحانه وتعالى . . إذ كل ساكن ومتحرك في هذا الكون الفسيح يشهد بحكمة خالقه . . وإذا كانت المخلوقات كلها خلقت لحكمة تتعلق بها . . ووظيفة أنيطت بها . . فما بالك بأعلى المخلوقات المشهوددة منزلة . . وأرقاها خلقة . . وأعظمها جمالاً وكمالاً ؟ ! . . قال تعالى "أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون" (المؤمنون ١١٥) . . وهذا استفهام استنكار

لظنونهم . . وقال تعالى "أحسب الإنسان أن يترك سدى" (القيامة ٣٦) . . أي لا يحسن منه هذا الظن
بخالقه . . وقال تعالى "ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم
على كثير ممن خلقنا تفضيلاً" (الإسراء ٧٠) . . وهذا امتنان بما يوجب الشكر . .

الأصل السادس: أن الحكمة من خلقنا هي عبادة الله جل وعلا . . فالحكمة إنما تُتلقى من الخالق . .
وقد توارث الأمم مضمون رسالات الرسل . . فكان المضمون الجوهرى الذى تدور فى فلكه الشرائع هو
عبادة الله تعالى . . قال تعالى "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" (الذاريات ٥٦) . . واللام للتعليل
وبيان الحكمة . . وقال تعالى "ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت" (النحل
٣٦) . . (أن) هذه تفسيرية تفسر مضمون ما بُعث به الرسل . .

الأصل السابع: أن العبادة حق خالص لله وحده . . فلا تصرف لغيره . . ولا يتوجه بها لله وفيها نصيب
لغيره . . قال تعالى "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه" (الإسراء ٢٣) . . والقضاء هنا شرعى بمعنى الأمر
. . وقال تعالى "قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً
صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً" (الكهف ١١٠) . . وقال تعالى "إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد
الله مخلصاً له الدين" (الزمر ٢) . . وفى صحيح مسلم (٢٩٨٥) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً
أشرك فيه معي غيرى تركته وشركه" . . وفى سنن النسائي (٣١٤٠) من حديث أبى أمامة رضى الله

عنه مرفوعاً "إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتُغي به وجهه" قال ابن حجر في الفتح (٧٧/٧)
عن إسناده "جيد"

الأصل الثامن : أن عبادة الله إنما تُقبل وتكون مرضية إذا وافقت مراد الله جل وعلا . . فلا يُعبد الله بحسب أهواء العابدين . . ولا يُعبد باقتراحات البشر . . ولا يُتقرب إليه إلا بما يعلم أن الله يرتضيه ديناً ويقبله من أهله . . قال تعالى "أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم" (الشورى ٢١) والاستفهام في أول الآية استفهام تقييد وتوبيخ . . وقال تعالى "ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن" (المؤمنون ٧١) . . وقال تعالى "أرأيت من اتخذ إلهه هواه" (الفرقان ٤٣) وهذا تعجيب مشوب بالإنكار . .

الأصل التاسع : أن موافقة مراد الله جل وعلا في العبادة إنما تعلم من طريق الرسائل السماوية . . وآخر الرسائل - وناسخها وخاتمتها - دين الإسلام المنزل على رسول الله محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - . . قال تعالى "إن الدين عند الله الإسلام" (آل عمران ١٩) . . وقال تعالى "ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين" (آل عمران ٨٥) . . وقال تعالى "قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم" (آل عمران ٣١) . . وفي حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد" أي مردود

رواه الشيخان واللفظ لمسلم (خ ٢٦٩٧ - م ١٧١٨)

فهذه أصول الوصول إلى الله تعالى . .

واعلم -بارك الله فيك - أنما يزيد إيمان العبد بربه سبحانه وتعالى . . ويطور معارفه حول البارئ جل وعلا أمرين . . وهما ما يلي:

الأول: تتبع نصوص الأسماء والصفات في الكتاب والسنة . . والإقبال عليها إقبال المحب على محبوبه . . ففي الصحيحين (خ ٧٣٩٢ - م ٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن لله تسعة وتسعين اسما مئة إلا واحدا، من أحصاها دخل الجنة" وفي رواية (خ ٦٤١٠) "لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر" . . وقد ذكر أهل العلم لإحصاء الأسماء الحسنى مراتب وهي ما يلي:

المرتبة الأولى: تتبعها في القرآن والسنة بغية تحصيلها وعدّها وحفظها حبا لله ورغبة في التعرف على صفاته والتقرب منه أكثر فأكثر .

المرتبة الثانية: تدبرها وتفهم معانيها ودلالاتها على كمالات الله سبحانه وتعالى مفردة ومجموعة . . فتدبرها مفردة يكون بالنظر إلى كل اسم على حدة . . وتفهم أصله اللغوي ودلالته ومعناه . . ثم النظر في نسبته إلى الله تعالى وما تستدعيه تلك النسبة من الكمال . . وأما تدبرها مجموعة فيكون بالنظر إلى الكمالات الحاصلة بمجموعها . .

المرتبة الثالثة من مراتب إحصاء الأسماء الحسنى: دعاء الله بها والتعبد لوجهه الكريم بمقتضاها . . فيهرب سبحانه لما في أسمائه من معنى القوة والإحاطة والمحاسبة . . ويرجى لما فيها من معنى الرحمة

والكرم والود والرأفة . . . ويحب لما فيها من معاني الجمال والكمال والإنعام . . . ويهاب لما فيها من معاني
الجلال والعظمة . . . ويفزع إليه في الشدائد لما فيها من معاني الإغاثة والقيومية والصمدية والكفاية . .
ويستغفر منه لما في أسمائه من معاني المغفرة والستر والعفو والصفح والتجاوز والحلم
الأمر الثاني مما يزيد الإيمان ويطور معرفة العبد بخالقه جل وعلا النظر في تدبير الله الربوبي . . . والتأمل في
آلاء الله ونعمه . . . قال تعالى " قل انظروا ماذا في السماوات والأرض " (يونس ١٠١) . . . وقال تعالى
" فلينظر الإنسان مم خلق " (الطارق ٥) . . . وقال تعالى " فلينظر الإنسان إلى طعامه " (عبس ٢٤) . .
وقال تعالى " هو الذي يرىكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر إلا من ينيب " (غافر ١٣) . .
وقال تعالى " إن في السماوات والأرض لآيات للمؤمنين . وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون .
واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات
لقوم يعقلون " (الجنات ٣) . . . وقال تعالى " قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ
النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير " (العنكبوت ٢٠) . . . وقال تعالى " يقلب الله الليل والنهار إن في
ذلك لعبرة لأولي الأبصار " (النور ٤٤) . . . وقال تعالى " وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم
فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون . وعليها وعلى الفلك تحملون " (المؤمنون ٢١) . . . وقال تعالى " أولم يروا
أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون " (السجدة ٢٧)
. . . وقال تعالى " أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذلّلناها لهم فمنها ركوبهم
ومنهم يأكلون ولم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون " (يس ٧١) . . . وقال تعالى " والذي خلق الأزواج

كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه
وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون" (الزخرف ١٣)

وبعد عرض ما تقدم ننتقل لتوضيح المعنى الإجمالي للتوحيد فأقول مستعينا بربي تبارك وتعالى:
التوحيد لغةً مصدر وُحِدَ يوَحِّدُ يوَحِّدُ إذا جعل الشيء واحداً . . . وهو في الشرع "إفراد الله جل وعلا
بما يختص به من الكمالات والحقوق" . . .

فالكمالات تتناول الأسماء والصفات والأفعال . . . والحقوق تشمل القربات والطاعات . . . والواجب في
الكمالات الربانية أن يعتقد العبد انفراد الله بها . . . والواجب في الحقوق الإلهية أن يُخصَّ الله بها . . .
واعلم - رعاك الله - أن توحيد الله تعالى وإفراده تعالى بخصائصه من الكمالات والحقوق تشترك في أدائه
وتحقيق أفراده آلات المكلف الثلاث . . . قلبه . . . وقوله . . . وجوارحه . . .

أما في قلبه فيعتقد جازماً بوحداية الله في كمالاته من الأسماء والصفات والأفعال . . . ويعتقد جازماً
بوحداية الله جل وعلا في ملكه وسيادته وخلقه وتقديره وتديره . . . ويعتقد جازماً بوحداية الله تعالى
في استحقاق ما له من القربات والطاعات . . . فلا يعتقد لله مثيلاً في أسمائه وصفاته . . . ولا كفواً له في
أفعاله . . . ولا شريكاً له ملكه . . . ولا ظهيراً له في تديره . . . ولا منازعاً له في سلطانه . . . ولا مستحقاً
معه لشيء من العبد والتأليه . . .

وفي القلب - أيضاً - يتجه العبد بحبه وخوفه ورجائه وتوكله وقصده إلى خالقه ومولاه . . . فلا يحب -
محبة التأليه - إلا الله تعالى . . . ولا يخاف - خوف السر - إلا من الله جل وعلا . . . ولا يرجو - الرجاء

المطلق - إلا الله تبارك وتعالى .. ولا يتوكل إلا على الله سبحانه .. ولا يقصد بعبادته إلا وجه ربه سبحانه وتعالى .. ولا يشوب عبادته بالأغراض الدنيا من رياء أو طمع بما في أيدي الناس من جلب نفع أو دفع ضرر ..

وأما في لسانه فينطق العبد بالشهادة نطقاً موافقاً لباطنه وموافقاً لظاهره .. نطقاً يجتمع فيه الإقرار بمضمون الشهادة مع الالتزام بمقتضاها .. فلا يقول الشهادة بلسانه وقلبه خلومنها .. ولا يقولها وفي قلبه ما يضادها من الاعتقادات أو الإرادات .. ولا يقولها وفي ظاهره إعراض عن مقتضاها .. ولا يقولها وفي ظاهره ما يضادها وينقض محتواها ..

وفي لسانه - أيضاً - لا يستغيث - فيما لا يقدر عليه إلا الله - إلا بالله جل وعلا .. ولا يتجه بدعائه إلا لله سبحانه وتعالى .. ولا يثني الثناء المطلق على غير الله تبارك وتعالى ..

وأما في جوارحه فيخلص عباداته لله تعالى .. فلا يسجد لغيره جل وعلا .. ولا يركع لسواه .. ولا يصوم لغير وجهه .. ولا يحج إلا لبيته العتيق .. ولا ينذر إلا له جل وعلا .. ولا يتلقى التشريع في موضوعات الديانة إلا منه .. ولا يدين بالطاعة المطلقة المستقلة إلا له .. ولا يحتكم راضياً مختاراً إلا لحكمه .. ولا يتدين لله تعالى بغير شريعته الناسخة للملل المنزلة على خاتم الرسل ..

وبمجموع هذه الأدوار التي يشترك فيها القلب واللسان والجوارح يتحقق التوحيد في باطن العبد وظاهره .. ويأخذ مكانه من الاعتقاد والعمل ..

ولا يخفى - مما مر - أن قضية التوحيد قائمة على التمييز التام بين الخالق والمخلوق . . تمييز في المعارف والاعتقادات . . وتميز في الأفعال والإرادات . . ولا يتأتى هذا التمييز إلا بالإثبات في جانب الحق . . والنفي في جانب الخلق . . إثبات الكمالات والحقوق لله . . ونفيها عن سواه . .

فهذا معنى قول الله تبارك وتعالى " قل هو الله أحد " (الإخلاص ١) وقوله جل وعلا " وما من إله إلا الله الواحد القهار " (ص ٦٥) وقول النبي - صلى الله عليه وسلم - " إن الله وتر يحب الوتر " متفق عليه (خ ٦٤١٠ - م ٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وهذا لفظ مسلم . .

ومدار التوحيد على قاعدتين . . الأولى أن كل من سوى الله فلا حظ له في الربوبية . . والثانية: أن من لا حظ له في الربوبية فلا حق له في الألوهية . .

ثم اعلم - بارك الله فيك - أن لتوحيد الله آداباً عظيمة تتمه . . . وله نواقض تنافي أصله . . وقوادح تخل به ولا تقطع الصلة به . .

أما آدابه فمنها التصريح بتفويض الأمر لله تعالى عند الإخبار عن الأفعال المراد إيقاعها في المستقبل قال تعالى " ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله " (الكهف ٢٣)

ومن آدابه العزم في الدعاء فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ولا يقولن اللهم إن شئت فأعطني، فإنه لا مستكره له " متفق عليه (خ ٦٣٣٨ - م

٢٦٧٨)

ومن آدابه ترك الوسوسة في ذات الله تعالى فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته" وفي لفظ "فليقل آمنت بالله" متفق عليه (خ ٣٢٧٦ م - ١٣٤)

ومن آدابه ترك التلوم على وقوع المقدور فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان" رواه مسلم (٢٦٦٤)

ومن آدابه حسن الظن بالله تعالى في تقديره وتديره فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "أنا عند ظن عبدي بي" الحديث متفق عليه (خ ٧٤٠٣ م - ٢٦٧٥) . .

أما نواقضه فمنها الاستهزاء بالله أو بشيء من دينه أو بأحد من رسله . . قال تعالى "يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا إن الله مخرج ما تحذرون . ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم" (الآية (التوبة ٦٤)) ومن نواقضه نسبة شيء من النقص لذات الله تعالى قال تعالى "وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا" (الآية (المائدة ٦٤))

ومن نواقضه تشبيه الله تعالى بأحد من خلقه . . أو تشبيه شيء من صفاته بصفات خلقه . . قال تعالى
" فاطر السماوات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذروكم فيه ليس كمثل
شيء وهو السميع البصير " (الشورى ١١)

ومن نواقضه الشرك بالله وهو مساواة غير الله بالله فيما هو من خصائص الله . . فمن صور الشرك اعتقاد
أن في الخلق من ينفع ويضر مع الله تعالى قال تعالى " وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك
بخير فهو على كل شيء قدير . وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير " (الأنعام ١٧) . . وقال تعالى
" وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده
وهو الغفور الرحيم " (يونس ١٠٧) . . وقال تعالى في السحرة " وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله
" (البقرة ١٠٢) . . ومن صور الشرك اعتقاد أن أحدا من الخلق يعلم الغيب المطلق مع الله تعالى قال تعالى
" قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيا ن يعثون " (النمل ٦٥) . . وقال تعالى
" قل إنما الغيب لله " (يونس ٢٠) . . وقال تعالى " وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو " (الأنعام ٥٩)
. . وقال تعالى " عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه
ومن خلفه رصدا ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا " (الجن
٢٦) . . فاختص الله من شاء من رسله بما شاء من العلم لحكم تتعلق بمحلهم من الرسالة . . قال ابن
رجب في (شرح حديث الملائكة) " وقد ورد في غير حديث مرفوعا وموقوفا أنه صلى الله عليه وسلم
أعطى علم كل شيء خلا مفاتيح الغيب الخمس التي اختص الله بعلمها وهي المذكورة في قوله تعالى " إن
الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري

نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير" (لقمان ٣٤) . . ومن صور الشرك محبة غير الله محبة تأليه قال تعالى " ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب " (البقرة ١٦٥)

ومن صور الشرك التوكل على غير الله تعالى . . قال تعالى "إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون" (آل عمران ١٦٠) . . ومن صور الشرك دعاء غير الله تعالى . . قال تعالى " وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين" (غافر ٦٠) . . وقال تعالى " قل رأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين . ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين" (الأحقاف ٤) . . وقال تعالى " ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين" (يونس ١٠٦) . . ومن صور الشرك الذبح لغير الله تعالى . . قال تعالى " قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين" (الأنعام ١٦٢) . . وعن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " لعن الله من ذبح لغير الله " رواه مسلم (١٩٧٨)

ومن نواقض التوحيد أيضا كراهة ما أنزل الله تعالى . . قال تعالى " والذين كفروا فقتلوا لهم وأضل أعمالهم . ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم " (محمد ٨)

ومن نواقضه أيضا الحكم بغير ما أنزل الله تعالى . . . والتحاكم إلى غير حكمه جل وعلا رضا واختيارا . . . قال تعالى " ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا . . . وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا " (النساء ٦٠) . . . وقال تعالى " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما " (النساء ٦٥) . . . وقال تعالى " ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون " (المائدة ٤٤) . . . قال العلماء في تفسير هذه الآية هذا فيمن جحد حكم الله . . . أو استحل الحكم بغير ما أنزل الله . . . أو فضله على حكم الله . . . أو ساواه به . . . أما من حكم بغير ما أنزل الله عرضا لغرض عاجل مع ثبات اعتقاده وسلامته من الريب والجحود ففعله كفر أصغر لا يخرج عن الإسلام . . . ثم لما نزلت بالآمة فتنة القوانين الوضعية ذهب جماهير العلماء المعاصرين إلى أن الحكم بها من نواقض الإسلام . . . وذلك لكونها تناولت كليات الشريعة لا جزئياتها . . . مع ما فيها من إعراض تام عن دين الله . . . وتشبه مطلق بأعداء الله . . . ولكونها مؤسسة على العلمانية الخالصة . . . ومعبرة عنها . . . والعلمانية كفر بلامرية . . . قال العلامة محمد الخضر حسين رحمه الله في (رسائل الإصلاح) " فصل الدين عن السياسة هدم لمعظم حقائق الدين ولا يقدم عليه المسلمون إلا بعد أن يكونوا غير مسلمين " . . . وقد صدق رحمه الله فإن العلمانية تناقض كليات الدين . . . وتسلبه خصائصه . . . وتزاحمه - بل تستعلي عليه - في سيادة الأمة . . . وتصرف الناس عنه . . . وتحملهم على مخالفته . . . وتغريهم بتركه . . . ولها مساوئ لا تعد ولا تحصى . . . أما الأمة المغلوبة المسلوية ففي ضعفها وعجزها ما يقضي ببراءتها من إقرار العلمانية والرضا بها . . .

أما قوادح التوحيد فمنها اتخاذ الرقى والتماائم المطلسمة على وجه التسبب في دفع الضر أو جلب المنفعة . . ففي حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " إن الرقى والتماائم والتولة شرك " رواه أبوداود (٣٨٨٣) وابن ماجه (٣٥٣٠) من طريق يحيى بن الجزار عن ابن أخي زينب امرأة ابن مسعود عن زينب عن ابن مسعود مرفوعا . . وابن أخي زينب لم يسم ولم يعرف . . والحديث رواه أبو عبيد في غريبه (٦١/٥) عن غندر عن شعبة عن الحكم عن إبراهيم عن ابن مسعود موقوفا عليه . . وانظر تخريجه في النهج السديد ١٠٧ والدر النضيد ١٩ . .

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " من علق تميمة فقد أشرك " رواه أحمد (١٧٤٢٢) وحسنه الوادعي (الصحيح المسند ٩٤٢) . . قال العلماء المراد بالشرك هنا الشرك الأصغر ما لم يتطور اعتقاد المعلق إلى تصور كفري . .

وفي حديث عوف بن مالك رضي الله عنه قال كنا نرقى في الجاهلية فقلنا يا رسول الله كيف ترى في ذلك ؟ فقال صلى الله عليه وسلم " اعرضوا علي رقاكم ، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك " رواه مسلم (٢٢٠٠) . .

ومن قوادحه الطيرة . . وهي توقع الشر بسبب وهمي . . وذلك كالتشاؤم ببعض الأيام . . والأرقام . . والحيوانات . . وغير ذلك . . ففي سنن أبي داود (٣٩١٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " الطيرة شرك " ثلاثا . . وصححه الوادعي (الصحيح المسند ٨٥٨) قال العلماء الشرك هنا أصغر ما لم يتطور اعتقاد المتطير إلى تصورات مكفرة . . والله أعلم .

ومن قوادحه الحلف بغير الله فعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله وإلا فليصمت" رواه الشيخان (خ ٦١٠٨ - م ١٦٤٦) . .
وفي حديث بريدة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من حلف بالأمانة فليس منا" رواه أبو داود (٣٢٥٣) وصححه الوادعي (الصحيح المسند ١٧٦)

ومن قوادحه الرياء ففي الصحيحين (خ ٦٤٩٩ - م ٢٩٨٧) من حديث جندب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "من سمع سمع الله به ومن يرائي يرائي الله به" أي يعاقبه عقابا يسمعه الناس ويريهما إياه في اليوم المشهود مجازاة له بتقيض قصده . .

ثم اعلم - بارك الله فيك - أن الشريعة قد صانت التوحيد فحرمت ما يؤدي لتقصه أو يغري بالوقوع فيما يضاده وإن كان في نفسه ليس بشرك ولا كفر . . فمما حرمته الشريعة سدا لذريعة الشرك بناء المساجد على القبور ففي الصحيحين (خ ٤٣٧ - م ٥٣٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" . . وفي حديث جندب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك" رواه مسلم (٥٣٢)

ومما حرمته الشريعة سدا لذريعة الشرك أيضا الغلو في الصالحين والأنبياء عليهم السلام فعن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله" رواه البخاري (٢٤٤٥)

القضية الثانية: القرآن الكريم . .

فالقرآن كلام الله تعالى . . وهو المصدر الأول للتشريع . . وقد تعبدنا الله تعالى بتلاوته . . وبحفظه . .
وتدبره . . وبالعمل بما فيه . . وتحكيمه بين العباد والاحتكام إليه . .
ووصفه الله بأنه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم . . وأنه شفاء ورحمة للمؤمنين . . وأنه هدى وموعظة
للمتقين . . وأنه نور وكتاب مبين . . وأنه ذكر مبارك وروح من أمر الله . . وأنه تنزيل من رب العالمين نزل به
الروح الأمين على قلب خاتم النبيين ليكون من المندرين . . وأنه أحسن القصص والحديث . . وأنه قرآن
عربي غير ذي عوج . . ونعمته الله جل وعلا بالكرم والمجد والعظمة والعزة والعلو والحكمة . . وسماه
الكتاب . . والقرآن . . والفرقان "تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا" (الفرقان ١)
لذا فالقرآن هو منهاج الدين . . وقانون الاستقامة . . وعقد الجماعة . . ودستور الأمة . . وحول
نصوصه تطوف التشريعات . . وتحت كلياته تستظل الجزئيات . . لا حياة للفرد إلا به . . ولا نهضة للأمة
إلا على هديه . . وكل ثقافة لا تنطلق منه فهي فاسدة . . وكل حضارة لا تتأسس عليه فهي كاسدة . .
ولذا فمن أظهر علامات الهداية . . وأجلى آيات التوفيق . . أن ترى المسلم شديد الصلة بهذا الكتاب
الكريم . . يحفظ منه تارة . . ويلوه تارة . . ويتدبره تارة . . ويستضيء بهديه في قوله وعمله . . ويستند
إليه في عقيدته وإيمانه . .

ومن حسن صلته بالقرآن انفتحت عليه أبواب البركات من كل جهة . . وترقى في معارج العبودية يوما بعد
يوم . . فترتفع منزلته عند الله تعالى . . ويعظم أجره وثوابه . . حدثت عائشة رضي الله عنها أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال "مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي

يقرأ وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران " متفق عليه (خ ٤٩٣٧ - م ٧٩٨) . . وفي لفظ لمسلم
"والذي يقرأ القرآن ويتتبع فيه . وهو عليه شاق له أجران " . . وعن عثمان رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" رواه البخاري (٥٠٢٧)

ومن أعظم ما يزيد الإيمان بهذا الكتاب العظيم وبما فيه من الذكر الحكيم التعرف على وجوه إعجازه . .
فقد تحدى الله تعالى المشركين أن يأتوا بمثل هذا القرآن فأبلسوا . . ثم تحداهم أن يأتوا بمثل عشر سور منه
فأبلسوا . . ثم تحداهم أن يأتوا بمثل سورة منه فأبلسوا . . قال تعالى "قل لئن اجتمعت الإنس والجن على
أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا" (الإسراء ٨٨) . . وقال تعالى "أم
يقولون افتراء قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين" (هود
١٣) . . وقال تعالى "أم يقولون افتراء قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم
صادقين" (يونس ٣٨) . . وإعجاز القرآن يشمل ألفاظه ومعانيه . .

هذا وللقرآن خصائص جلية . . منها أنه محفوظ من التحريف والتبديل . . ومن الزيادة فيه والنقصان
منه . . قال تعالى "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" (الحجر ٩) . . ومنها كونه ناسخا للكتب السابقة
ومهيمننا عليها كما قال تعالى "وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمننا عليه
فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء
الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم
فيه تختلفون" (المائدة ٤٨) . . وقال تعالى "تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزین لهم الشيطان أعمالهم
فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم . وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة

لقوم يؤمنون " (النحل ٦٣) . . ومنها عموم خطابه . . قال تعالى " قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا " (الأعراف ١٥٨) . . وقال تعالى " قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحى إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ " (الأنعام ١٩)

وأول ما يبدأ به المسلم في علاقته مع القرآن أن يتلوه مجودا . . فبالتجويد يتقن القارئ مخارج الحروف . . وبالتجويد يتقن التغيرات الصوتية للحروف بحسب ما يطرأ عليها من طوارئ الاتصال والانفصال . . وبالتجويد يعرف أحكام الوقف والابتداء . . والأصل في تلقي فن التجويد أن يؤخذ مشافهة عن القراء المتقنين . .

ثم يجتهد المسلم في حفظ ما يمكنه حفظه من كتاب الله تعالى . . ثم يتعاهد حفظه بين الفينة والأخرى فعن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعقلة إن عاهد إليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت " متفق عليه (خ ٥٠٣١ - م ٧٨٩)

ومع التلاوة والحفظ يحرص المسلم على تدبر معاني القرآن الكريم . . مستعينا بما تيسر من تفاسيره المختصرة . . قال تعالى " كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته " (ص ٢٩)

ثم على المسلم أن يعمل بما بلغه من كتاب الله تعالى . . قال تعالى " وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون " (الأنعام ١٥٥) . . وقال تعالى " الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به، ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون " (البقرة ١٢١) . . قال ابن عباس رضي الله عنه يتلونه حق تلاوته أي يتبعونه حق اتباعه . . رواه ابن جرير في تفسيره . . وفي صحيح مسلم (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " والقرآن حجة لك أو عليك " .

وأختم هذا المعلم بمحدث أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن لله أهلين من
الناس" قالوا: يا رسول الله من هم ؟ قال "هم أهل القرآن أهل الله وخاصته" رواه ابن ماجه (٢١٥)
وصححه الوادعي (الصحيح المسند ٧٧)

القضية الثالثة: رسول الله صلى الله عليه وسلم . .

من فضل الله جل وعلا على خلقه أن جعل الرسل إليهم من جنسهم لتحصل الأسوة بهم . . وعلى هذا المنهج جاء نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام بشرا رسولا . . وأمر الله بطاعته واتباع هديه والتأسي به ظاهرا وباطنا . . وجعل فعله النبوي نبراسا يهتدي به الناس ومحلا للاقتداء والتأسي . . وصار النبي صلى الله عليه وسلم مبينا للقرآن بقوله وفعله . . وسيرته العطرة اقتربت الشريعة من عقول الناس وأقادتهم وتحركت الهمم نحو الكمال وحلقت النفوس البشرية في سماء الفضيلة وارتقت أرواحها في معارج الحق والخير والجمال . . وصار عليه الصلاة والسلام النموذج التربوي الواقعي الذي تنشأ الأجيال على سيرته وتدرس في مدرسته . . إنه القمر في ظلمات المدارس الأرضية المقلبة المنحرفة . . وهو الكمال المنشود في مناخ الإنسانية المتعفن الموبوء . . لقد صار هديه المعيار الثابت للأخلاق الفاضلة . . وصار ما في المسلمين من كمالات أخلاقية وعبادية شعبة من ضيائه وقبسا من نوره . . وما يقع منهم من نقص فبمقدار ما نقص فيهم من اتباعه والتأسي به . . فأني إنسان ذاك الإنسان ؟ عاش معه أصحابه المدة الطويلة فلم يجدوا في أخلاقه ثغرة يتطرق منها اتهام . . ولم يجدوا في سيرته عثرة يستغلها اللئام . . ومع تنوع اهتماماتهم الأخلاقية نقل كل واحد منهم ما وجد فيه من كمال . . فمن تطلب الحلم والحكمة وجد . . ومن تطلب الرفق والرحمة وجد . . ومن تطلب الصلابة والشجاعة بالحق وجد . . ومن تطلب المنطق الراقي والأسلوب الأخاذ وجد . . ومن تطلب العقل الناضج والرأي الرشيد وجد . . ومن بحث عن الهيبة والوقار وجد . . ومن تطلب الحفاوة والتكريم وجد . . ومن تطلب الصبر في المواقف العظام والثبات في الأحداث الجسام وجد . . ومن اعتمد على فراسته وتفحصه لقسمات الوجه

وظاهر الخلقه وجد جمالا باهرا وحسنا ظاهرا . . ومن تقب عن دقائق المعاملة في البيت والأسرة وجد الأب والزوج والجار وسيد البيت الذي لا يضاهى في سلوكه ومعاملته ورعايته لهم . . ومن تفحص أحواله مع أعدائه في حال غلبته وظهور أمره وجد الصنع الجميل والعفو عند المقدرة . . ومن دقق النظر في مجلسه وجد إنصاف الجالسين منطلقا وسلوكا . . ومن بحث عن التواضع الجم والحياء الشديد وجد فيه ما لا تستوفيه العبارات . . فأني إنسان ذلك الإنسان ؟ . . لقد كان مسددا في قوله موفقا في معاملته مجتهدا في تعبدته قائما بحقوق الخلق وحقوق الخالق على أكمل الوجوه الممكنة لبشر . . جربه الناس قائدا عسكريا وحاكما مدنيا وقاضيا ومعلما ومحاربا وعابدا وزاهدا فما رأوا في الناس خيرا منه . . وكان الوحي الشريف معه أينما حل وارتحل يؤيده ويضيء الدرب بين يديه ويهدي به من يشاء الله تعالى هدايته . . وعندما نزل الوحي يعاتبه كان عتابا حانيا رفيقا على أمر لو قيس بخطايا الناس من بعده لعد فضيلة وكمالا . . يعاتبه الوحي على عبوسه في وجه رجل أعمى لغلبة هم الدعوة عليه في ذلك المنزل . . "عبس وتولى أن جاءه الأعمى" (عبس ١) . . فاعجب من دقة مراقبة الوحي له حتى عاتبه على العبوس العارض ! . . وما قدر عبوس عابر في عمر مديد مليء بالحوادث العظيمة ؟ . . ولاحظ أنه عبوس في وجه رجل أعمى لم يكن لينتبه لولا أمانة الوحي الشريف . . وهو عبوس لأجل الهم الدعوي وليس استخفافا بالأعمى ولا استهانة بقدره ومكاته . . ومع هذا تترقق الآيات فتورد العتاب بصيغة الغائب "عبس" لما في المواجهة من إحراج وما في المخاطبة من قسوة أمي الله الحليم الكريم أن يخاطب بها النبي الرؤوف الرحيم . . وقد شهد له تعالى بسمو الخلق لتكون أعظم شهادة من أعظم شاهد في أكرم مشهود له . . قال تعالى " وإنك لعلی خلق عظیم " (القلم ٤) . . لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم فيما وصفه

أهله وأصحابه قرآنًا يمشي على الأرض فمن أراد أن يعرف أخلاقه فلينظر في أوامر القرآن وإرشاداته . . فلا غرابة أن يحبه الصحابة الحب الذي لم يسجل التاريخ له نظيرا . . ولا عجب أن تستقر منزلته العظيمة في قلوب المؤمنين في كل مكان وزمان . .

ولأنه النموذج الأخلاقي المنشود والرسول المبين للشرعة الإلهية بفعله وقوله جعل الله اتباعه فرضا لازما . . وجعل التأسي به والاهتداء بهديه شرطا في قبول العبادة وفي صحتها . . وحرّم الله تعالى الرغبة عن سنته والخروج عن منهجه والحيدة عن سيرته . . وحرّم الله الابتداع في الدين لما فيه من الخروج عن طريق سيد المرسلين ومخالفة سبيل المؤمنين . .

وبذا تعرف أن شخصية النبي الكريم صلى الله عليه وسلم شخصية محورية في مسيرة الدين . . فهو من حمل الرسالة عن الله تعالى . . ولا يحمل رسالة الله تعالى إلا من اصطفاه الله بعلمه وحكمته البالغة . . كما قال جل وعلا "الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس" (الحج ٧٥) . . وهو أيضا من أداها عن الله على التمام . . وكابد في سبيل ذلك ما كابد . . ممثلا قول الله تعالى "فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل" (الأحقاف ٣٥) . . ثم لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا وقد أقام الله به الحجة . . وأوضح به المحجة . . فصار مستحقا للمحبة لأجل اصطفاء الله له . . واتخاذ خليلا . . ولأجل ما عاناه في سبيل أداء الأمانة الرسالية . . ولأجل ما كان منه من رحمة بالمؤمنين . . كما قال الحق سبحانه "لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم" (التوبة ١٢٨) . . ولأجل ما كان عليه من خلق عظيم بشهادة الخبير العليم . .

ومن هنا تتأكد منزلة النبي صلى الله عليه . . وتعمق مكاته في نفوس المؤمنين . فلا غرابة أن تكون محبة شخصه الكريم أصلا من أصول الدين . . فعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين" متفق عليه (خ ١٥ - م ٤٤) . .

وأما من الناحية الرسالية فإن الدين لا يعرف إلا من جهته . . ولا يتلقى إلا بواسطة . . ومن قصد غيره في تلقي الدين مرق عن الإسلام جملة . . قال تعالى "ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا" (النساء ١١٥) . . وقال تعالى "قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين" (آل عمران ٣٢) . . وقال تعالى "قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله" الآية . . (التوبة ٢٩) . .

ولهذا كله فإنه يتحتم على المتدين أن يتعرف على شخص الرسول الكريم . . على اسمه ونسبه وصفته وشمائله . . ثم يتعرف على ما جاء به من دلائل النبوة . . ثم يتعرف على ما له من خصائص في التشريع . . وما له من فضائل بين الرسل والأنبياء . . وما لشريعته من سمات وخصوصيات . . ثم يتعرف على حقوقه اللازمة للمكلفين ويجتهد في أدائها . . ويتعرف على هديه في الديانة . . فيتأسى به ويتخذة إماما ومتبوعا . . وبذا يكتمل عقد الدين . . وتم الهداية . . وبلغ العبد رضا الله جل وعلا . .

وفيما يلي طائفة مختارة من النصوص الشرعية المشتملة على المعارف النبوية . .

أولاً: ما يتعلق باسمه ونسبه صلى الله عليه وسلم :

قال الله تعالى "محمد رسول الله" (الفتح ٢٩) . . . وقال تعالى " وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصداقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد " الآية (الصف ٦) . . وفي حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي " متفق عليه (خ ٣٥٣٢ - م ٢٣٥٤) . . وفي حديث أبي موسى رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه أسماء فقال " أنا محمد وأحمد والمقفي والحاشرونبي التوبة ونبي الرحمة " رواه مسلم (٢٣٥٥) . . وكنيته أبو القاسم كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال أبو القاسم سموا باسمي ولا تكونوا بكيتي متفق عليه (خ ٣٥٢٩ - م ٢١٣٤) . وفي بيان نسبه صلى الله عليه وسلم حديث البراء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول يوم حنين "أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب" رواه البخاري (٢٨٦٤) . . وفي حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم" رواه مسلم (٢٢٧٦) . . فهو أبو القاسم محمد رسول الله بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر

بن نزار بن معد بن عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام الذبيح ابن إبراهيم خليل الرحمن . . والنضر هو
قريش

ثانيا : مجمل سيرته صلى الله عليه وسلم وخبر أسرته :

ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عام الفيل في شهر ربيع الأول . . في يوم الإثنين . . ففي صحيح
مسلم (١١٦٢) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم يوم الإثنين ؟ قال "ذاك يوم ولد فيه ،
ويوم بعثت - أو أنزل علي - فيه "

ومات أبوه عبد الله بن عبد المطلب ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل في بطن أمه . .
ومات أمه بين مكة والمدينة بالأبواء عند انصرافها من المدينة من زيارة أخواله . . ولم يستكمل إذ ذاك سبع
سنين .

ومات جده عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين . .

وقد تولت حضاته بعد أمه أم أيمن الحبشية واسمها بركة . . وكان ورثها صلى الله عليه وسلم من أبيه أو
من أمه . ولما تزوج صلى الله عليه وسلم بخديجة أعتقها . .

ومن أَرْضَع النبي صلى الله عليه وسلم ثوية جارية أبي لهب . . أرضعته أياما . . وأرضعت معه حمزة بن
عبد المطلب وأبا سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي . . أرضعتهم بلبن ابنها مسروح . . وأرضعته
كذلك حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية . . وأقام عندها في بني سعد نحو من أربع سنين . . وفي أثناء
مكث النبي صلى الله عليه وسلم في بادية سعد - جهة الطائف - وقعت حادثة شق الصدر . . فعن
أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان

فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة فقال "هذا حظ الشيطان منك" ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده في مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعني ظئره - فقالوا: إن محمداً قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال أنس وكنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره" رواه مسلم (٢٦١)

نشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيماً يكفله جده عبد المطلب. . . وبعده عمه أبو طالب بن عبد المطلب. . . وطهره الله تعالى من دنس الجاهلية ومن كل عيب. . . ومنحه كل خلق جميل حتى لم يكن يعرف بين قومه إلا بالأمين لما شاهدوا من أمانته وصدق حديثه. . . قال جابر رضي الله عنه: لما بنيت الكعبة ذهب النبي صلى الله عليه وسلم وعباس ينقلان حجارة فقال العباس للنبي صلى الله عليه وسلم: اجعل إزارك على عاتقك من الحجارة ففعل فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ثم قام فقال "إزاري إزاري" فشد عليه إزاره. . . - زاد في رواية - قال فما رؤي بعد ذلك اليوم عرياناً. . . رواه الشيخان (خ ١٥٨٢ - م ٣٤٠) هذا لفظ مسلم. . . واشتغل فترة من حياته صلى الله عليه وسلم برعي الغنم فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم" فقال أصحابه: وأنت؟ فقال "نعم كنت أرهاها على قراريط لأهل مكة" رواه البخاري (٢٢٦٢). . . يعني كل شاة بقيراط الذي هو جزء من الدينار أو الدرهم كما يستفاد من فتح الباري (٦-٢٨). . . وخرج إلى الشام في تجارة لخديجة قبل أن يتزوجها. . . مع ميسرة غلام خديجة. . . حتى بلغ إلى سوق بصرى فباع تجارته. . . فلما بلغ خمسا وعشرين سنة تزوج خديجة رضي الله عنها. . . وهي أم القاسم بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي. . . وهي أم أولاده. . . وأول من آمن به وصدقته. . . لم يتزوج قبلها صلى الله

عليه وسلم . . ولم يتزوج عليها في حياتها إلى أن قضت نحبها . . وكانت خديجة تحت أبي هالة بن زرارة التيمي . . ثم خلف عليها بعده عتيق بن عابد . . وتزوجها النبي من بعد ذلك . . وكان عمرها إذ ذاك أربعين سنة على المشهور . . فأقامت معه خمسا وعشرين سنة حيث توفيت قبل الهجرة بثلاث سنين أي بعد المبعث بعشر سنين . . فلما بلغ أربعين سنة اختصه الله بكرامته وابتعثه برسالاته . . فعن عائشة رضي الله عنها قالت أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حُبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ قال ما أنا بقارئ قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال "اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم" فرجع بها رسول الله يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب منه الروح "الحديث رواه الشيخان (خ ٣-م ١٦٠) واللفظ للبخاري . . فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة . . ثم هاجر إلى المدينة ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه . . وفيهما نزل قول الله تعالى "إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم" (التوبة ٤٠)

وأقام بالمدينة عشر سنين . . فعن ابن عباس رضي الله عنه قال أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة ثم أمر بالهجرة فهاجر إلى المدينة فمكث بها عشر سنين ثم توفي صلى الله عليه وسلم . رواه البخاري (٣٨٥١)

وتوفي صلى الله عليه وسلم سنة إحدى عشر للهجرة في شهر ربيع الأول . . في آخر الضحى من يوم الإثنين . . عن ثلاث وستين سنة . . فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ثلاث وستين . متفق عليه (خ ٤٤٦٦ - م ٢٣٤٩)

فكفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية - نسبة إلى قرية باليمن - ليس فيها قميص ولا عمامة . . وصلى عليه المسلمون أفذاذا لم يؤمهم عليه أحد . . ودفن في الموضع الذي توفاه الله فيه حول فراشه . . وحفر له وألحد في بيته الذي كان بيت عائشة

أما خبر أسرة النبي صلى الله عليه وسلم فكما يلي :

(١) زوجاته عليه الصلاة والسلام:

أولاهن خديجة . . ثم سودة . . ثم عائشة . . ثم حفصة . . وأم حبيبة . . وأم سلمة . . وزينب بنت جحش . . وميمونة . . وجويرية . . وصفية . .

وهؤلاء التسع - بعد خديجة - توفي عنهن . . ولم يتزوج في حياة خديجة غيرها . . ولا تزوج بكرة إلا عائشة . . قالت عائشة رضي الله عنها " تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابنة ست سنين بمكة متوفى خديجة ، ودخل بي وأنا ابنة تسع سنين بالمدينة " رواه أحمد (٢٤٨٦٧) وهو في مسلم (١٤٢٢) والبخاري مطولا (٣٨٩٤)

- وكانت له سريتان: مارية القبطية أم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم . . وريحانة بنت زيد
ثم أعتقها . .

(2) أبناؤه وبناته صلى الله عليه وسلم

- له صلى الله عليه وسلم من البنين ثلاثة: فأولهم القاسم . . وبه كان يكنى . . ولد بمكة قبل النبوة ومات
بها وهو ابن سنتين . . وثانيهم عبدالله ويسمى الطيب والظاهر لأنه ولد في الإسلام . . وثالثهم
إبراهيم ولد بالمدينة سنة ثمان . . ومات بها سنة عشر وهو ابن سبعة عشر شهراً أو ثمانية عشر شهراً . .
- وبناته صلى الله عليه وسلم أربع: فأولهن زينب . . تزوجها أبو العاص بن الربيع . . وهو ابن خالتها . .
وأمه هالة بنت خويلد . .

وثانيهن فاطمة . . تزوجها علي بن أبي طالب . . وثالثهن ورابعهن رقية وأم كلثوم تزوجهما عثمان بن
عفان رضي الله عنه . . تزوج رقية ثم أم كلثوم وتوفيتا عنده . . ولهذا سمي ذا النورين . . توفيت رقية يوم
بدر في رمضان سنة اثنتين من الهجرة . . وتوفيت أم كلثوم في شعبان سنة تسع من الهجرة . .
وأول من ولد له صلى الله عليه وسلم القاسم . . ثم زينب . . ثم رقية . . ثم أم كلثوم . . ثم فاطمة . . ثم
في الإسلام عبدالله بمكة . . ثم إبراهيم بالمدينة . . وكلهم من خديجة إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية . .
وكلهم توفوا قبله إلا فاطمة فإنها عاشت بعده ستة أشهر . .

(3) أعمامه وعماته صلى الله عليه وسلم:

- أعمامه عليه الصلاة والسلام أحد عشر.. الحارث وهو أكبر أولاد عبد المطلب.. وقثم..
والزبير.. وحمزة.. والعباس.. وأبو طالب.. وأبو لهب.. وعبد الكعبة.. وحجل.. وضرار..
والغيداق..

أسلم منهم حمزة والعباس.. وكان حمزة أصغرهم سناً لأنه رضيع رسول الله صلى الله عليه وسلم.. ثم
العباس قريب منه في السن.. وهو الذي كان يلي زمزم بعد أبيه عبد المطلب.. وكان أكبر سناً من رسول
الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين..

- وعلمته ست: صفية أسلمت وهاجرت وهي أم الزبير بن العوام.. توفيت بالمدينة في خلافة عمر بن
الخطاب.. وهي أخت حمزة لأمه.. وعاتكة.. وبرة.. وأروى.. وأميمة.. وأم حكيم وهي
البيضاء..

(معظم ما جاء في مجمل السيرة النبوية وخبر الأسرة المحمدية هنا مستفاد من مختصر السيرة للمقدسي
وتهذيب السيرة للنووي مع تعليقات خالد الشايع عليهما).

ثالثاً: صفته صلى الله عليه وسلم

لقد كان عليه أفضل الصلاة والسلام:

* مستدير الوجه (كما في حديث جابر بن سمرة عند مسلم ٢٣٤٤)

* ضليع الفم أشكل العين (كما في حديث جابر بن سمرة في مسلم ٢٣٣٩) قال سماك بن حرب أحد رواة

حديث جابر هذا: ضليع الفم أي عظيم الفم.. وأشكل العين أي طويل شق العين

* أهدب الأشفار (كما في حديث علي في المسند ٦٨٤ وأبي هريرة في المسند ٩٧٨٧ بأسانيد حسنة)

أي طويل شعر الأجفان . . قاله ابن الأثير في النهاية

* أزهر اللون . . ليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم (كما في حديث أنس في الصحيحين خ ٣٥٤٧ - م

٢٣٤٧) الأزهر الأبيض المستير وهو أحسن الألوان . . قاله ابن الأثير في النهاية

* وكان أحسن الناس وجها (قاله البراء كما في البخاري ٣٥٤٩) كأن وجهه القمر (كما في حديث البراء

في البخاري ٣٥٥٢ وجابر بن سمرة في مسلم ٢٣٤٤)

* وكان عرقه كأنه اللؤلؤ (كما في حديث أنس عند مسلم ٢٣٣٠)

* وكان مربوعا بعيد ما بين المنكبين (كما في حديث البراء عند الشيخين خ ٣٥٥١ - م ٢٣٣٧)

* ولم يكن بالطويل ولا بالقصير (كما في حديث أنس في البخاري ٣٥٤٧ ومسلم ٢٣٤٧ . . والبراء في

البخاري ٣٥٤٩ ومسلم ٢٣٣٧) في الرجال من هو أطول منه وفيهم من هو أقصر منه (كما في حديث أبي

الطفيل عند البزار ٢٣٩٤ بسند صحيح الوادعي في الصحيح المسند ٥٣١ وأصله في مسلم ٢٣٤٠)

* وكان ضخم اليدين والقدمين بسط الكفين (كما في حديث أنس في البخاري ٥٩٠٧)

* منهوس العينين (كما في حديث جابر بن سمرة في مسلم ٢٣٣٩) قال سماك عقب رواية هذا الحديث

منهوس العينين أي قليل لحم العين .

* إذا مشى تكفأ (كما في حديث أنس في مسلم ٢٣٣٠) قال ابن الجوزي في غريبه أي تمايل إلى قدام كأنه

من قوته يمشي على صدفة قدميه . . . وانظر مطالع الأنوار لابن قرقول (٣-٢٧٥)

* وكان له شعر يبلغ شحمة أذنه (كما في حديث البراء المتفق عليه خ ٣٥٥١ م ٢٣٣٧ - وحديث أنس في مسلم) وكان شعره يضرب قريبا من منكبيه (كما في حديث البراء علقه البخاري ٣٥٥١ وأسنده مسلم ٢٣٣٧ وحديث أنس في مسلم ٢٣٣٨) ولم يكن بالجعد القلط ولا بالسبط (كما في حديث أنس في الصحيحين خ ٣٥٤٧ م - ٢٣٤٧) القلط الشديد الجعودة . . والسبط من الشعر المنبسط المسترسل أي كان شعره وسطا بينهما . . قاله ابن الأثير في النهاية . .

* ولم يكن في لحيته ورأسه عشرون شعرة بيضاء (كما في حديث أنس المتفق عليه خ ٣٥٤٨ م - ٢٣٤٧) ولم يخضب عليه الصلاة والسلام وإنما كان البياض في عنقه وفي الصدغين وفي الرأس نبذ (قاله أنس كما في البخاري ٣٥٥٠ ومسلم ٢٣٤١ وهذا لفظ مسلم)

* واحمر بعض شعره من الطيب (كما في حديث أنس في البخاري ٣٥٤٧)

* وكان إذا ادهن لم يتبين شبيهه وإذا شعث رأسه تبين (كما في حديث جابر بن سمرة في مسلم ٢٣٤٤)

* وكان يسدل شعره ثم فرق (كما في حديث ابن عباس في البخاري ٣٥٥٨ ومسلم ٢٣٣٦)

* وكان كثير شعر اللحية (كما في حديث جابر بن سمرة في مسلم ٢٣٤٤)

قال أنس رضي الله عنه "ما مسست حريرا ولا ديباجا ألين من كف النبي صلى الله عليه وسلم ولا شمت ريحا قط أو عرفا قط أطيب من ريح أو عرف النبي صلى الله عليه وسلم" متفق عليه (خ ١١٤١ م - ٢٣٣٠) . .

رابعاً : شمائله الشريفة وعاداته الكريمة صلى الله عليه وسلم :

لقد كان عليه أفضل الصلاة والسلام:

* أحسن الناس خلقا (كما حديث أنس عند مسلم ٢٣١٠)

* ولم يكن فاحشا ولا متفحشا (كما في حديث عبد الله بن عمرو في الصحيحين خ ٣٥٥٩ - م ٢٣٢١

وعائشة عند الترمذي ٢٠١٦ وصححه)

* وكان أجود الناس وأجود ما يكون في رمضان (كما في حديث ابن عباس المتفق عليه خ ١٩٠٢ - م

٢٣٠٨)

* وكان أشد حياء من العذراء في خدرها (كما في حديث أبي سعيد الخدري في البخاري ٦١٠٢

ومسلم ٢٣٢٠)

* وكان إذا كره شيئا عرف في وجهه (كما في حديث أبي سعيد في الصحيحين خ ٣٥٦٢ - م ٢٣٢٠)

* وكان إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر (كما في حديث كعب في البخاري ٣٥٥٦ - ومسلم

٢٧٦٩)

* وكان يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه (كما في حديث عائشة المتفق عليه خ ٣٥٦٧ - م ٢٤٩٣

) وكان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا (كما في حديث أنس في البخاري ٩٥)

* وما خير بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس عنه . . وما انتقم لنفسه

قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لها (كما في حديث عائشة عند الشيخين خ ١٧٨٦ - م ٢٣٢٧)

* وما عاب طعاما قط . . إن اشتهاه أكله وإلا تركه (كما في حديث أبي هريرة عند الشيخين خ ٣٥٦٣ -

م ٢٠٦٤)

* وكان بشرا من البشر يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه (كما في حديث عائشة عند أحمد ٢٤٩٠٣

و٢٦١٩٤ وصححه الوادعي في الصحيح المسند ١٥٤٣)

* وكان يكثر الذكر ويقل اللغو ويطول الصلاة ويقصر الخطبة ولا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين

فيقضي له الحاجة (كما في حديث عبدالله بن أبي أوفى عند النسائي ١٤١٤ وحسنه الوادعي في

الصحيح المسند ٥٤٨)

* وكان يكره أن يقوم له الناس (كما في حديث أنس عند أحمد ١٢٣٧٠ وحسنه الوادعي في الصحيح

المسند ٥٢)

* وكان أزهد الناس في الدنيا (كما في حديث عمرو بن العاص عند أحمد ١٧٧٧٣ وصححه الوادعي

في الصحيح المسند بعد الحديث ١٠١١)

* ولم يكن شيء أحب إليه بعد النساء من الخيل (كما في حديث أنس عند النسائي ٣٥٦٤ وحسنه

الوادعي في الصحيح المسند ١١٤)

* وكان يحب الزبد والتمر (كما في حديث ابني بسر السلميين عند أبي داود ٣٨٣٧ وابن ماجه ٣٣٣٤

وصححه الوادعي في الصحيح المسند ١٤٥٥)

* وكانت له سكة تطيب منها (كما في حديث أنس عند أبي داود ٤١٦٢ وصححه الوادعي في

الصحيح المسند ٦٠)

وقال عليه أفضل الصلاة والسلام "حب إلي من الدنيا النساء والطيب، وجعل قرعة عيني في الصلاة" رواه

النسائي ٣٩٣٩ وحسنه الوادعي في الصحيح المسند (١٠٠)

خامساً: دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم . .

وهي كثيرة جداً . . فمنها ما يتعلق بالعلميات كما في حديث جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لما كذبتني قريش قمت في الحجر فجلا الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه " متفق عليه (خ ٤٧١٠ م - ١٧٠) . . ومنها ما يتعلق بالقدرات كما في حديث أنس رضي الله عنه أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر رواه الشيخان (خ ٤٨٦٧ م - ٢٨٠٢) . .

وأجل دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم هذا القرآن الذي بين أيدينا . . فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم " ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة " متفق عليه (خ ٤٩٨١ م - ١٥٢) ومن دلائل النبوة المبشرات به فمن ذلك ما في قول الله تعالى "الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل" (الأعراف ١٥٧) وقول الله تعالى "وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد " (الصف ٦) وقال هرقل " وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم " رواه البخاري (٧)

ومن دلائل النبوة : علامات نبوته . . فمنها علامات حسية كخاتم النبوة الذي في كفه . . قال جابر بن سمرة رضي الله عنه رأيت خاتماً في ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه بيضة حمام . رواه مسلم (٢٣٤٤) . . وقال عبد الله بن سرجس رضي الله عنه نظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه صلى الله عليه وسلم عند ناغض كفه اليسرى جمعا عليه خيلان كأمثال التأليل رواه مسلم (٢٣٤٦) . ومنها علامات

معنوية ففي قصة إسلام سلمان الفارسي أن النصراني الذي كان يلزمه قال له يوصيه : قد أظلك زمان نبي وهو مبعوث بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب مهاجرا إلى أرض بين حرتين بينهما نخل به علامات لا تخفى يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كفيه خاتم النبوة فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل رواه أحمد (٢٣٧٣٧) وحسنه الوادعي في الصحيح المسند (٤٤٠) . . وقال عبد الله بن بسر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة رواه أحمد (١٧٦٨٨) وحسنه الوادعي في الصحيح المسند (٥٥٥)

سادساً : خصائصه صلى الله عليه وسلم . .

فمنها ما اختص به عن الأنبياء قبله مثل المقام المحمود المشار إليه في قوله تعالى "عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا" (الإسراء ٧٩) قال ابن عمر رضي الله عنه "إن الناس يصيرون يوم القيامة جثا ، كل أمة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود" رواه البخاري (٤٧١٨) . . ومنها ما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع" رواه مسلم (٢٢٧٨) . . ومنها ما في حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة وأعطيت الشفاعة" متفق عليه [خ ٣٣٥ - م ٥٢١] . . وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت

بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون
 "رواه مسلم (٥٢٣) . . ومن الخصائص ما اختص به عن أمته كما قوله تعالى " وامرأة مؤمنة إن وهبت
 نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين " (الأحزاب ٥٠) . . وفي حديث
 أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه قال " لا تواصلوا " قالوا : إنك تواصل ؟ قال " لست كأحد
 منكم إني أطعم وأسقى " رواه البخاري (١٩٦١) . . ومنها تحريم الصدقة عليه كما في حديث أبي هريرة
 رضي الله عنه قال : أخذ الحسن بن علي رضي الله عنه تمر من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم " كخ كخ " ، ارم بها ، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة " متفق عليه (خ ١٤٩١ - م
 ١٠٦٩)

سابعاً : حقوقه صلى الله عليه وسلم . .

فمنها قول الله تعالى " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله
 كثيراً " (الأحزاب ٢١) . . وقوله تعالى " وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين " (الأنفال ١) . . وقوله تعالى
 " يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا رسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا
 يسمعون " (الأنفال ٢٠) . . وقال تعالى " وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ
 المبين " (التغابن ١٢) وقول الله تعالى " وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون " (الحشر ٨) . .
 وقوله تعالى " لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه " (الفتح ٩) . . وقال تعالى " يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا
 أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا
 تشعرون " (الحجرات ٢) وقال تعالى " والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم " (التوبة ٦١) . . وقال تعالى

"إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا" (الأحزاب ٥٧) . . وقال تعالى " النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم " (الأحزاب ٦) . . وقال تعالى " والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم " (الحشر ١٠) . . وفي حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي " رواه مسلم (٢٤٠٨) . . وعن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " النجوم أمانة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وأنا أمانة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمانة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون " رواه مسلم (٢٥٣١) . . وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم " لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه " متفق عليه (خ ٣٦٧٣ - م ٢٥٤١) . . وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا " رواه مسلم (٣٨٤) وهو قطعة من حديث . . وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا وخط عنه عشر خطيئات " رواه البخاري في الأدب المفرد (ص ٢٢٤) (وحسنه الوادعي في الصحيح المسند (٨٩)

وأختم هذا المعلم بما رواه مسلم (٢٨٣٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " من أشد أمتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود أحدهم لورائي بأهله وماله "

القضية الرابعة: دين الإسلام . .

الدين الإسلامي هو خاتم الأديان وناسخها . . وخطابه عام للعالمين . . وشريعته شاملة لكل شأن من الشؤون . . ولازمة لكل مكلف من المكلفين . . قال تعالى "إن الدين عند الله الإسلام" (آل عمران ١٩) وقال تعالى "ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين" (آل عمران ٨٥) وقال تعالى "وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً" (سبا ٢٨) . . وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولا" رواه مسلم (٣٤) . . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار" رواه مسلم (١٥٣)

ودين الإسلام يشتمل على عقائد وتشريعات . .

أما العقائد فترتكز على الإيمان بالغيب . . وذلك بتلقي الأخبار الرسالية المتعلقة بالغيبات بالقبول واليقين ثم العمل بمقتضياتها ولوازمها . .

ومدار الغيبات على أصول الإيمان الستة المذكورة في حديث جبريل الطويل (م ٨) وهي الإيمان بالله . . وملائكته . . وكتبه . . ورسوله . . واليوم الآخر . . والقدر خيره وشره . . ويلحق باليوم الآخر ما يتعلق بحقيقة الموت وعذاب القبر والبرزخ . . وما يتعلق بأشراط الساعة الصغرى والكبرى . .

ويلحق بهذه الأصول الستة ما يتعلق بالجن والشياطين . . وما يتعلق بكشف حقيقة السحر والكهانة . . زجرا عنهما . . وتحذيرا منهما . .

وأما التشريعات فهي لوازم العقيدة وترجماتها العملية . . وهي ما شرعه الله من تكاليف عبادية . .
وتفصيلات حقوقية . . . وزواج قضائية . . وآداب مرعية . . وغير ذلك . .
وكليات التشريع الإسلامي تدور حول حفظ الضروريات الخمس . . الدين . . والنفس . . والعرض . .
والمال . . والعقل . . فلأجل حفظ الدين شرع الجهاد في سبيل الله وشرع قتل المرتد . . ولأجل حفظ
النفس شرع القصاص . . ولأجل الحفاظ على العرض شرع حد الزنى وحد القذف . . ولأجل الحفاظ
على المال شرع حد السرقة . . ولأجل الحفاظ على العقل شرع حد الشرب . .
وأركان الإسلام خمسة . . الشهادتان . . والصلاة . . والزكاة . . والحج . . والصوم . . فعن ابن عمر
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله
وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان" متفق عليه (خ-٨-١٦)
وتتشعب التشريعات بعد ذلك إلى شعب كثيرة . . لذا جعل العلماء الفقه مقسوماً إلى أقسام . . فقسم
يتعلق بالعبادات . . تناولوا فيه الطهارة . . والصلاة . . وأحكام الجنائز . . والزكاة . . والصيام . .
والاعتكاف . . والحج والعمرة . . والأضاحي والعقيقة . . وقسم يتعلق بالجهاد . . تناولوا فيه أنواع
الجهاد . . وأحكام الأسرى والغنائم . . وأحكام الهدنة والذمة والأمان . . وقسم يتعلق بالمعاملات
المالية . . تناولوا فيه قضايا الملكية . . والمال . . والعقد . . وذكروا عقود المعاوضات كالبيع
والإجارة . . وعقود الشركات . . وعقود التبرعات كالهبة والعارية . . وعقود الاستحفاظ كالوديعة . .
والمداينات وما يتصل بها من توثيق كالرهن والكفالة . . إلى غير ذلك . . وقسم يتعلق بالموارث . . تناولوا
فيه حقوق التركة . . وموانع الإرث . . وأصحاب الفروض . . وقسمة الموارث . . إلى غير ذلك . .

وقسم يتعلق بالنكاح وأحكام الأسرة . . تناولوا فيه عقد النكاح بصيغته وشروطه . . والمحرمات من النساء . . والحقوق الزوجية . . والطلاق . . وما يستتبعه من أحكام كالْحضانة والنفقة . . إلى غير ذلك . . وقسم يتعلق بالأطعمة تناولوا فيه أنواع المطعومات من حيث الحل والحُرمة . . وأحكام الزكاة . . والصيد . . وقسم يتعلق بالأيمان والندور . . تناولوا فيه أقسام اليمين وألفاظها . . وكفارتها . . والندر . . وأنواعه . . وأحكامه . . وقسم يتعلق بالجرائم والعقوبات . . تناولوا فيه التشريع الجنائي وما يشتمل عليه من حدود وجنایات وتعزیرات . . وتناولوا التنظيم القضائي وما يتعلق به من سماع الدعاوى والبيّنات . . إلى غير ذلك . . وقسم يتعلق بفقہ العبيد والإماء . . تناولوا فيه أحكام الرق والعق . . ثم تناولوا ما سوى الفقه من مواضع التشريعات بمصنفات مستقلة فأفردوا للأدب كتباً فذكروا فيها آداب السلام . . والطعام . . والشراب . . واللباس . . وما يتعلق بالبر والصلة . . للوالدين . . والأرحام . . والجيران . . والضيوف . . والخدم . . وتناولوا آداب الأماكن العامة . . وآداب العلاقات المجتمعية . . وأحكام الرؤى . . والطب . . والرقى . . والتائم . . والشعر . . وغير ذلك كما أفردوا كتباً في الفتن التي حذرت منها الشريعة . . وما يتصل بذلك من تدابير وإجراءات . . وألفوا كتباً في الزهديات والرقائق . . وكتباً في التحذير من الكبائر . . وكتباً في الفضائل والمناقب . . وكتباً في الترغيب والترهيب . . وكتباً في الأذكار والأدعية . . وكتباً في الإمامة وشؤون الحكم . . وهكذا تتبعوا التشريعات الإسلامية وتناولوها من زوايا مختلفة . .

والأحكام الشرعية في الإسلام خمسة . . . الواجب . . . والمستحب . . . والمباح . . . والمكروه . . .
والحرم . . . وبحسب هذه الأحكام تترتب مقادير الثواب والعقاب على الأفعال والتروك . . . فالواجب يثاب
فاعله ويستحق العقاب تاركه ما لم يكن معذورا . . . والمستحب يثاب فاعله وليس في تركه إثم ولا ذم . . .
والمباح ما ليس في فعله ولا تركه ثواب ولا عقاب فالمكلف مخير في فعله أو تركه . . . والمكروه ما يثاب
تاركه احتسابا وتدينا ولا يستحق العقاب فاعله . . . والحرم ما يستحق العقاب فاعله ويستحق الثواب
تاركه لوجه الله تعالى . . . وعلى هذه الأحكام الخمسة تدور الفتاوى الشرعية . . .

والحرمات في الإسلام منها كبائر كالشرك بالله وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق والزنا والعقوق وشهادة
الزور والربا وشرب الخمر . . . ومنها صغائر كالنظرة والغمزة والقبلة . . . وهذا التفاوت بين المحرمات لحظ
فيه - والله أعلم - حجم المفاسد التي تنطوي عليه المحرمات . . . روى الشيخان (خ ٤٤٧٧ - م ٨٦) عن
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي الذنب أعظم عند الله ؟ قال
" أن تجعل لله ندا وهو خلقك " قلت : إن ذلك لعظيم ، قلت ثم أي قال " وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك
" قلت : ثم أي ؟ قال " أن تزاني حليلة جارك " . . . وروى الشيخان (خ ٢٦٥٤ - م ٨٧) من حديث أبي
بكرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ " ثلاثا . قالوا : بلى يا
رسول الله . قال " الإشراك بالله وعقوق الوالدين " وجلس وكان متكئا فقال " ألا وقول الزور " قال فما زال
يكررها حتى قلنا ليته سكت . . . وعن أنس رضي الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الكبائر . قال " الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وشهادة الزور " متفق عليه (خ ٢٦٥٣ - م
٨٨) . . . وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " اجتنبوا السبع

الموققات " . قالوا: يا رسول الله وما هن ؟ قال " الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات " متفق عليه (خ
٢٧٦٦م-٨٩م)

وللإسلام قواعد تشريعية عامة تندرج تحتها التشريعات الفرعية . . وأعظمها القواعد الخمس الكبرى . . وهي قاعدة "الأمر بمقاصدها" . . وقاعدة "اليقين لا يزول بالشك" . . وقاعدة "المشقة تجلب التيسير" . . وقاعدة "الضرر يزال" . . وقاعدة "العادة محكمة" . . وهذه القواعد ضوابط في فهمها وتنزيلها . . ولها قواعد صغرى تفرع عنها . . وهذه القواعد عبارة عن معان كلية تم استخراجها من جزئيات الأحكام المبنوثة في أبواب الشريعة . . مما جعل العلماء يطمئنون إلى كون الشريعة تحررتها وقصدتها وتشوفت لتحقيقها في الجزئيات . . ومن هنا استمدت هذه القواعد قوتها . . وصار إعمالها في الفروع الحادثة والنوازل المستجدة إعمالاً لروح الشريعة وكليات معانيها . .

ونصوص الشريعة الإسلامية لها قواعد إثبات وتعليل وهي المجموعة في علم مصطلح الحديث . . وقواعد احتجاج واستنباط وهي المجموعة في علم الأصول . . فبالأول يتم التحقق من ثبوت النص على ضوء المعارف التاريخية . . ووفق قواعد للحكم مستقرة عند أهل الاختصاص . . وبالثاني يتم فحص دلالة النص والتحقق من وفائه بالمطلوب على ضوء القواعد المستقرة في علم الأصول . .

ولسان الشريعة عربي أصيل . . لذا كانت علوم اللغة من أعظم مواد التلقي النقي لنصوص الشريعة . . ومن أمثـن الحصانات لحماية النص من عبث العابثين وتخـرص الجاهـلين . . فلا جرم أن تداعت جهود العلماء على جمع الإرث اللغوي ثم تصنيفه ثم تحصيله وتنقيته ثم تحليله ودراسة قضاياها ثم التأليف فيه . . ومن

هنا كانت مكتبة اللغة العربية من أضخم مكبات اللغات وأكثرها ثراء وتفصيلاً . . وعند إتقان هذا العلم العميق الدقيق يستطيع المسلم أن يختصر المسافة الذهنية إلى فهم النص الشرعي وإدراك مراميهِ وأغراضه . .

ولما كانت النصوص الشرعية تحتمل - أحيانا - دلالات متعددة . . تؤدي لنتائج حكيمية مختلفة . . انفتحت أمام الفقهاء بوابة اختلاف الأفهام . . فنشأت ظاهرة الاختلاف الفقهي . . ثم تطورت إلى ظاهرة تعدد المذاهب الفقهية . . ثم استقرت المذاهب الأربعة المتبوعة . . الحنفي . . والمالكي . . والشافعي . . والحنبلي . . وهي مذاهب متفقة في مصادر التلقي . . وكليات الشريعة . . وأصول الديانة . . ومجملات القواعد الأصولية والحديثية . . لذا كان الموقف الشرعي منها موقف المسامحة والتعازر . . لا المفارقة والتناحر فكل مذهب منها مقبول بالجملة . . وليس لأحدها امتياز خاص دون الآخر وأصل المسامحة في الاجتهاد والتعازر فيه حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر" متفق عليه (خ ٧٣٥٢ - م ١٧١٦) وحديث ابن عمر رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لنا لما رجع من الأحزاب "لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة" فأدرك بعضهم العصر في الطريق فقال بعضهم لا نصلي حتى نأتيها وقال بعضهم بل نصلي لم يرد منا ذلك فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يعنف واحدا منهم . متفق عليه (خ ٩٤٦ - م ١٧٧٠)

المعلم الثالث: ميدان الدين:

الدين فسيح الأرجاء واسع المساحات . . وله مجالات متعددة . . ومقاصد متنوعة . . . ومن الخطأ قصر الدين على بعض مجالاته دون بعض . . فإن مثل هذا يتضمن التفريط في مجالات تتعلق بها تشريعات . . ويؤدي عادة إلى المبالغة في المجال الذي قصر الدين عليه . . ويفتح بابا لمفاسد أخرى . . والواضح جدا في نصوص الشريعة أن الدين مركب من أقوال وأعمال واعتقادات . . وأنه يتناول كل شؤون الحياة . . وأن مقاصده وثماره يجنيها العباد في كل الاتجاهات . . وأنه يروي ظمأ النزعات المختلفة لبني آدم . . فللنزعة العقلية ما يروها . . وللنزعة الوجدانية ما يروها . . وللنزعة التواصلية ما يروها . . وهكذا . . وواضح أيضا أن متطلبات الدين لا تتعارض . . ولا ينقض بعضها بعضا . . وأدل مثال على ذلك قول الله تعالى "ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير . وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون" (لقمان ١٤) . . فانظر الموافقة الحاصلة هنا بين مقصد البراءة من الكفر ومقصد البر بالوالدين . . لذا فمن المهم في تلقي الدين أن يتوازن العبد بين مطالب الديانة . . وأن لا يهجر بعضها لحساب بعضها الآخر . . وأن لا يستغرق في بعضها على حساب البعض الآخر . . وأن لا يحتقر بعض مطالب الديانة لاشتغاله في غيرها ولو كان مشغولا بالفاضل منها . . إذ كل ما جاء به الدين عظيم الشأن والثمرة والعائدة . . وأن لا يستصغر البذل لله تعالى في أي مجال

من مجالات الديانة مهما بدا بذله في عينه صغيرا فعن أبي ذر رضي الله عنه قال قال لي النبي صلى الله عليه وسلم "لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق" رواه مسلم (٢٦٢٦)

إذا تمهد لك ما تقدم فاعلم -رعاك المولى- أن من مجالات الدين ما يلي:

أولاً: المجال الاعتقادي:

وهذا أصل الدين وأساسه . . فيعتني المسلم باعتقاده . . تأصيلاً . . وتفصيلاً . . واستدلالاً . . وتنزيلاً . . ويتقي مضلات الأهواء والبدع التي عصفت بأفكار الناس . . القديم منها . . والجديد . . ولا سلامة في الاعتقاد إلا باعتماد فهم السلف الكرام رضي الله عنهم . . وهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم . . ومن سار على هديهم واقتفى آثارهم . . قال تعالى "والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم" (التوبة ١٠٠)

واتباع السلف لا يقصد به تتبع أفراد الفتاوى والوصايا لأشخاص معينين من التابعين فمن بعدهم . . وإنما المقصود اتباع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأصالة . . ثم اتباع مجموع العلماء في القرون الأولى . . إذ الفضيلة الثابتة للتابعين فمن بعدهم في القرون الأولى فضيلة جماعية مجملية . . فكان مقتضاها اتباع الهدي العام لهم . . واعتماد ما ظهر وانتشر من العلم فيهم . . ففي حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" الحديث متفق عليه (خ ٢٦٥٢ - م ٢٥٣٣) . . وفي حديث عائشة رضي الله عنها أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم أي الناس خير؟ قال "القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث" رواه مسلم (٢٥٣٦) .

ثم اعلم - شرح الله صدرك للخير - أن اتباع السلف يعتبر منهجا في فهم الدين . . وليس تنظيما حركيا . .
ولا مدرسة علمية حديثة المنشأ . .

واعلم - أيضا - أنه ليس للسلف وكيل حصري يمثلهم . . ولا شخص بعينه ينحصر منهجهم الرحب في
فهمه الخاص . .

ونحن ننبه على هذا لئلا يحملنا تحري المنهج الحق في فهم الدين إلى شخصنة المنهج ثم التعصب الأعمى
للشخص . . ولئلا تورط بتحزيب الأتباع حول الرموز ثم تشتت الجماعة تبعا لاختلاف أفهام المعاصرين
القاصرين . .

وهذه التوسعة في التعامل مع فهم السلف تؤدي لتوسعة القاعدة الجمهورية لهذا المنهج . . وتؤلف بين
أهله . . وتعلو بإسناد المتلقي . . وتعصم المجموع من زلات الأفراد . .

واتباع السلف الكرام ينفي تلقائيا خبث الفرق الضالة . . ويطرده أرواح المبتدعة من محاضن العلم
ومنابعه . . فلا مكان بين أتباع السلف لهراء المتكلمين وهذيان الفلاسفة . . ولا مكان في منهج السلف
لتوهمات المتصوفة ووساوس مواجدهم . . ولا مكان عند السلف للتخاريف الأسطورية التي شحنت
بها كتب أهل الضلالة . .

ثانيا المجال العبادي:

وهذا الباب التدين وخلاصته . . فمن ذلك العبادات الباطنة . . ومن أعظمها محبة الله تعالى . . والتوكل
عليه . . والإنابة إليه . . والموازنة بين الخوف منه والرجاء فيه . . وما يدخل في المجال العبادي العبادات
الظاهرة ابتداء بالصلوات الخمس التي هي عمود الدين . . وانتهاء بنوافل الطاعات في الصلاة والصيام

والصدقة . . مروراً بالأذكار والأدعية التي تعد وقود الطاقة العبادية . . فيعتني المسلم في تحري الصواب من وجوه التعبد . . وإقامة العبادات بحسب شروطها ومقدماتها . . مع الاستعداد التام لها . . وإخلاص القصد فيها . . وإعمار حياته بما يسعه من الأذكار . . والاستكثار من صلاة التطوع لا سيما قيام الليل ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل" رواه مسلم (١١٦٣) . . وفي حديث جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلة" رواه مسلم (٧٥٧)

ثالثاً: المجال الأخلاقي:

وهذا أصل الصلاح الفردي . . وأساس التعايش الجموعي للبشر . . وعليه تبنى العلاقات الثنائية والجماعية . . وللشريعة فيه اهتمام عظيم . . حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم "البر حسن الخلق" رواه مسلم (٢٥٥٣)

لذا جاءت الشريعة بالأخلاق الفاضلة . . وحثت عليها . . ورتبت الأجور العظيمة على التزامها والقيام بها . . كما نبهت إلى الأخلاق المردولة . . ونهت عنها . . وحذرت منها . . وشنعت على أهلها . . والتدين بلا أخلاق يجرد الدين من معظم محتواه . . ويفوت مقصداً من أعظم مقاصده . . ففي حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً" متفق عليه (خ٦٠٩-م ٢٦٠٧) . .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان" متفق عليه (خ ٣٣-م ٥٩) . . وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر" متفق عليه (خ ٣٤-م ٥٨) . . وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر" رواه مسلم (٩١) . . وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قالوا يا رسول الله أي الإسلام أفضل ؟ قال " من سلم المسلمون من لسانه ويده" متفق عليه (خ ١١-م ٤٢) . . عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه" رواه البخاري (١٠)

رابعا: المجال الأدبي:

والمقصود هنا تحري آداب الكلام والسلام والجلوس والنوم والمعاملة وغير ذلك . . وقد جاءت الشريعة بآداب عظيمة وتوجيهات راقية تتحقق فيها القيم الأخلاقية . . وتحفظ فيها دقائق الحقوق للآخرين . . فتعاهد هذه الآداب مع ما فيه من رعاية الاتباع للهدى النبوي يحصل في ضمنه ما تشوفت له الشريعة من معان ومصالح . . وذلك كترتيب مراتب الناس في السلام . . وتنظيم أعراف الاستئذان والدخول . . والإرشاد إلى أقوال وأعمال يتحقق فيها حسن المنطق والسلوك . . والعناية بمظاهر تدل على جواهر نفسية نفيسة . . كالعناية بترك الإسبال لدلالته على المخيلة . . والعناية بتحريم الحرير على الرجال لما فيه من معنى يناسب النساء . .

بل لقد جاءت بعض النصوص مصرحة بمقاصد الآداب فغن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم" رواه مسلم (٥٤)

خامسا: المجال الأسري:

الأسرة هنا تشمل الوالدين والأخوة والزوجة والأولاد . . هذا هو المجتمع المصغر للفرد . . وقد اعتنت به الشريعة عناية شديدة . . حتى قرن القرآن بين عبادة الله وبين بر الوالدين . . كما في قوله تعالى "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا" (الإسراء ٢٣) . . وكرر النبي صلى الله عليه وسلم وأعاد الوصية بأهل بيت الرجل حتى قال "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي" الحديث رواه الترمذي (٣٨٩٥) وصححه . . ولا شك أن الأسرة هي حاضنة الفرد . . وهي نواة المجتمع . . والتواد فيما بينها أمر فطري . . وتأثيرها في الفرد وتأثرها به أمر واضح معلوم . . لذا فمن أولويات الدين دعم هذه الرابطة الجليلة . . واناهاشها . . واستثمارها في النصح والتوجيه . . لكن برفق لتلايق الإنسان في تقيض مطلوبه من حيث لا يشعر . . ففي صحيح مسلم (٢١٦٥) والبخاري (٦٩٢٧) من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله" . . وفي صحيح مسلم (٢٥٩٤) من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه" . . وعن جرير رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "من يحرم الرفق يحرم الخير" رواه مسلم (٢٥٩٢)

سادسا: المجال المجتمعي:

فمن ذلك الإحسان إلى الجار وتعهده وحفظ حرمة ففي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "ما زال يوصيني جبريل بالجار حتى ظننت أنه سيورثه" متفق عليه (خ ٦٠١٤ - م ٢٦٢٤) . . ومن ذلك العناية بضعفاء المسلمين ففي الصحيحين (خ ٦٠٠٧ - ٢٩٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله" . . ومن ذلك إكرام الضيف فعند الشيخين (خ ٦٠١٩ - م ٤٨) من حديث أبي شريح رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته" قالوا: وما جائزته يا رسول الله؟ قال "يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه" الحديث . . ناهيك عن حقوق عامة المسلمين المبنية على قاعدة تولي المؤمنين . . فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس" متفق عليه (خ ١٢٤٠ - م ٢١٦٢) . . وفي حديث ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة ففرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة" متفق عليه (خ ٢٤٤٢ - م ٢٥٨٠) . . وعن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا" وشبك بين أصابعه متفق عليه (خ ٤٨١ - م ٢٥٨٥) . . وفي حديث النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم " ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى " متفق عليه (خ ٦٠١١ - م ٢٥٨٦)

لقد كرست الشريعة معنى الأخوة الدينية بين المؤمنين بما أوجبه - وجوبا عينيا أو كفايا - من مظاهر التواد والتواصل والتراحم والتكافل بين المؤمنين . . وحرصت على القيام بحقوق الأخوة الدينية أيما تحريض . . وأناطت بهذا المعنى الكريم الشريف من الفضائل والرتب العالية ما لم تنطه بكثير من المطالب الشرعية . . وبينت إجمالا وتفصيلا ما للمسلم على المسلم من حقوق وواجبات . . وحرمت بشكل قاطع دم المسلم وماله وعرضه حتى قال بعض أهل العلم أن قاتل المسلم لا توبة له (انظر تفسير القرطبي ٣٩/٧) . . وهذا القول وإن كان خارجا عن مقالة الجمهور إلا أنه يبين لك قيمة دم المسلم واهتمام الشريعة به . . وأقتى بعض أهل العلم بأنه يجب على المسلمين فداء أسراهم وإن استغرق ذلك أموالهم . ونقل هذا إجماعا كما في تفسير القرطبي (٢/ ٢٤٢) . . فهذا - وغيره كثير - بعض ما تركته الشريعة في نفوس الفقهاء من معاني الأخوة الدينية وحقوقها . . وذلك أن من تصفح جزئيات الشريعة في مختلف الأبواب وجد معنى الأخوة الدينية حاضرا في منثور الأوامر والنواهي مما يجعل الفقهاء يراعون هذا المعنى في الفتاوى والتوجيهات حرصا على مقصود الشريعة ورعاية لحرمة المسلم المتأصلة في الدين . . وأصل ذلك كله قول الله تعالى "إنما المؤمنون إخوة" (الحجرات ١٠) . . وحديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" متفق عليه (خ ١٣ - م ٤٥)

سابعاً: المجال العلمي:

فالتعلم والتعليم من أعظم القربات إلى الله تعالى . . ومن أكثر الأعمال تأثيراً في زيادة الإيمان والوقاية من الفتن . . ومن أنفع ما يقدمه المسلم لحيطه ومجتمعه . . وقد روى الشيخان (خ ٧١ - م ١٠٧٣) من حديث معاوية رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين" الحديث . . وروى مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة" . . وطلب العلم يتأكد فيه تحري الإخلاص أكثر من غيره وذلك لكثرة وشدة ما يتعلق به من أغراض تراحم الإخلاص . . ووجه ذلك أن العلم الشرعي يتعلق به التشريف الديني . . والإشادة العلمية . . مما يعطي لصاحبه وجاهة مجتمعية خاصة . . وحب الوجاهة سريع النفاذ إلى باطن قلب الإنسان . . إلا أن يدفعه بالتقوى والمراقبة . . وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من خطر التطلع إلى الجاه على الديانة فقال "ما ذنبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه" رواه الترمذي (٢٣٧٦) وصححه . . قال ابن رجب رحمه الله في (رسالة له في شرح هذا الحديث) "أما حرص المرء على الشرف فهذا أشد هلاكاً من الحرص على المال، فإن طلب شرف الدنيا والرفعة فيها والرياسة على الناس والعلو في الأرض أضرم على العبد من طلب المال وضرره أعظم والزهد فيه أصعب فإن المال يبذل في طلب الرياسة والشرف . . والحرص على الشرف على قسمين: أحدهما طلب الشرف بالولاية والسلطان والمال وهذا خطر جداً . . القسم الثاني: طلب الشرف والعلو على الناس بالأمور الدينية كالعلم والعمل والزهد فهذا أفحش من الأول وأقبح وأشد فساداً وخطراً . . انتهى باختصار .

إن العلم الذي يراد لأغراض عاجلة تنوق له النفس الأماراة بالسوء . . وتساعد عليه . . وتدفع إليه . .
وتجلد فيه . . أما العلم الذي يراد به وجه الله ويتجرد عن الأغراض العاجلة فإن النفس تتباطأ فيه . .
وتخذل عنه . . وتذمر منه . . اللهم إلا إن انصبغت هي بصبغة الإيمان . . وعقلت الفارق بين ما بيد
الناس وما عند الرحمن .

واعلم - رعاك الله - أن للعلم الشرعي . . مناهج . . ومراحل . . ومنابع . . ويحتاج فيه الطالب إلى
امتلاك أدوات العلم . . وتكوين الملكات العلمية . . ومراعاة الخبرات العلمية . . وذلك لا يكون مع
التخطيط والفوضى والاستعجال . . بل لابد للطالب من التدرج . . والتخطيط . . واكتساب الملكات
بمخالطة العلماء . . والاطلاع على إسهاماتهم . . ورأس أمر هذا الشأن التوفيق من الله . . التوفيق في
المقدمات والأسباب . . والتوفيق في الصبر والثبات . . والتوفيق في التحصيل . . والتوفيق في الوصول . .
واستمرار التوفيق إنما يكون بالدعاء . .

واعلم أن مهلكة طالب العلم تكمن في تلمس العلم عند غير أهله . . ففي الصحيحين (خ ١٠٠م ٢٦٧٣)
من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "إن الله لا
يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس
رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا" . . وقد شاع في عصرنا طلب العلم على الأصاغر
. . وتلقي الدين عن أهل البدع . . ومتابعة غناء المضلين في القنوات الفضائية . . ومواقع التواصل
الشبكي . . فإلى الله المشتكى .

ثامنا: المجال الدعوي:

وهو السعي لهداية الخلق بأنجح الطرق . . وهذا المجال يتطلب فقها شرعيا . . وحكمة فطرية . . وذكاء اجتماعيا . . ولا بد أن ينبع من قلب عامر بالشفقة على الناس ومحبة الخير لهم . . قال تعالى "ومن أحسن قولاً لمن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين" (فصلت ٣٣) أي لا أحد أحسن قولاً منه . . وقال تعالى "ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون" (آل عمران ١٠٤) . وروى البخاري (٣٤٦١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "بلغوا عني ولو آية" الحديث . . وروى مسلم (٢٦٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً" الحديث . . وعن أبي مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من دل على خير فله مثل أجر فاعله" رواه مسلم (١٨٩٣)

تاسعا: المجال الجهادي:

وهو الحصن الأمني للأمة المسلمة . . يدفع عنها صيال المعتدين . . ويكف عنها بطش الظالمين . . وعندما تنهض الأمة . . وتأخذ بأسباب القوة يكون الجهاد سيفها الفاتح لبلدان الكافرين . . في سبيل إعلاء كلمة الدين . . وإخضاع الدول لحكم رب العالمين . . قال تعالى "قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين . . وقتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير" (الأنفال ٣٨) وقال تعالى "قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا

يحرّمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون" (التوبة ٢٩) . . وقال تعالى "إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم" (التوبة ١١١) . . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قيل يا رسول الله: ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟ ! قال "لا تستطيعونه" فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثا كل ذلك يقول "لا تستطيعونه" ثم قال "مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله" متفق عليه (خ ٢٧٥٨م - ١٨٧٨م) واللفظ لمسلم

عاشرا: المجال السياسي:

سياسة الدول تعني امتلاك زمام القرار السيادي فيها . . والقرار السيادي يتسرب في كل تفاصيل الحياة . . ويتسلل إلى كل بيت . . ويمس حياة كل فرد . . ومن هنا صار صلاح القمة السياسية صلاحا للدولة عامة . . وفسادها فسادا للدولة عامة . . وإصلاح القمة تختلف سبله باختلاف الأحوال . . فتارة يكون في المشاركة في القيادة السياسية . . وتارة يكون في مدافعتها . . وتارة يكون بغير ذلك مما تقتضيه الحكمة وتسمح به ظروف الشعوب وحدود إمكانياتها . . لكن الجامع في هذا الباب هو تحري السبل الأنفع . . والمقدور على المضي فيها . . دونما مفسد عامة راجحة . . فكل سبيل من سبل الإصلاح السياسي هولون من ألوان النصيحة للأمة . . ووجه من وجوه مدافعة الفساد في الأرض . . وصورة من صور تغيير المنكر . . روى مسلم (٤٩) عن أبي سعيد رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف

الإيمان" . . وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدكم بیده فهو مؤمن ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل " رواه مسلم (٥٠) . .

وعن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون فمن كره فقد برئ ومن أنكر فقد سلم ولكن من رضي وتابع " قالوا يا رسول الله ألا نقاتلهم ؟ قال " لا ، ما أقاموا فيكم الصلاة " رواه مسلم (١٨٥٤) . . وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا " رواه البخاري (٢٤٩٣)

وتنظيم العمل الجماعي في الحقل السياسي داخل تحت قاعدة "الوسائل بمقاصدها" . . فإن كان الهدف السياسي مشروعاً فننظيم العمل لتحقيقه مشروع تبعاً له . .

المعلم الرابع: قواعد الدين:

فيما يلي قواعد نصية تهيمن على معاهد الدين في الفهم . . والتلقي . . والامتثال . .

القاعدة الأولى: "الإيمان بضع وسبعون شعبة"

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان " متفق عليه (خ ٩-م ٣٥) واللفظ لمسلم

دل الحديث على تبعض الإيمان . . ومعنى هذا أنه مركب من شعب قلبية وقولية وجوارحية . . ومن هنا كان الإيمان يزيد وينقص في تفاوت الناس فيه كما قال تعالى " ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات يا أذن الله ذلك هو الفضل الكبير " (فاطر ٣٢) ودل كذلك على تفاضل هذه الشعب . . حيث وصف بعضها بـ "أعلاها" . . وبعضها بـ "أدناها" . . وهذا أصل في ترتيب الأولويات عند التزام . .

ودل كذلك على أن من شعب الإيمان ما يتعدى نفعه إلى الآخرين . .

ودل على أهمية التوحيد . . وعلو منزلته في الدين . .

ودل على فضيلة الحياء . .

ودل على اهتمام الشريعة بالمصلحة العامة للمسلمين . . وتحريضها على النفع العام . .

ودل على أن الدين يتناول الأخلاق الفاضلة . .

القاعدة الثانية: "قل آمنت بالله فاستقم"

عن سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك. قال "قل آمنت بالله فاستقم" رواه مسلم (٣٨) . . ومعناه إقامة التوحيد والتزام الطاعة حتى يلقي العبد ربه . .

وقد دل الحديث على تلازم الباطن والظاهر . . وارتباط الإيمان بالاستقامة . . وتصديق القول بالعمل . . قال تعالى " فاستقم كما أمرت " (هود ١١٢) . . وقال تعالى "إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون" (فصلت ٣٠) . . أي لا تخافوا من مستقبل ولا تحزنوا على فائت . . والله أعلم .

القاعدة الثالثة: "إنما الأعمال بالنيات"

عن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه" متفق عليه (خ ١-سم ١٩٠٧) واللفظ للبخاري . .

وفحوى الحديث أن قبول الأعمال متوقف على إخلاص القصد فيها . . وأن المجازاة على الأعمال تختلف باختلاف المراد منها . . وهذا يتضمن الحز على إخلاص القصد لله تعالى . . وابتغاء وجهه الكريم . . وتناول الشريعة أو الأخذ بها أو بيعها لأغراض أجنبية عنها يفوت المقصود بها . . ويحولها إلى وسيلة . . ويفتح شهية المحرفين والعابثين للميل بها بحسب ما تقتضيه أغراضهم أو أغراض أسيادهم . . وهذا يعرضها لخطر التحريف والتبديل - وحاشاها ذلك - . . ومن هنا صار تناول الشريعة لتحقيق (الغرض الشخصي) ليس خطرا على الحالة التعبدية للشخص فحسب . . بل هو خطر على الشريعة ذاتها . . لاسيما إذا كان صاحب الغرض في منصب الفتيا والإرشاد . . لذا يحدثنا تاريخ الديانات عن انحراف الناس فيها تبعا لانحراف علمائهم . . ومعظم انحراف العلماء يتصل بالغرض الأجنبي عن الشريعة بشكل أو بآخر . . وهذا ما حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم . . ففي حديث ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين" رواه الترمذي (٢٢٢٩) وصححه . . وصححه العدوي (الصحيح المسند في الفتن ١٩٨)

القاعدة الرابعة: "إن الدين يسر"

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا" الحديث رواه البخاري (٣٩) . .

دل الحديث على أن الأساس الذي قامت عليه الشريعة هو التيسير على المكلفين فيما شرعت . . قال تعالى "وما جعل عليكم في الدين من حرج" (الحج ٧٨) وقال تعالى "يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر" (البقرة ١٨٥) . . وعلى المكلف أن يتناول الشريعة من هذا الوجه فلا يشدد على نفسه استحسانا من تلقاء نفسه . . ولا يشدد على الآخرين ولومع صلاح القصد وابتغاء الخير . .

ودل الحديث على أن من تناول الدين على وجه المبالغة في الامتثال إلى درجة التكلف فإنه لن يطبق الاستمرار على هذا النهج . . ولا بد له أن تخور عزمته وتنقطع همته ويمنعه التعب من مواصلة السير في الدين . . ويتضح هذا إذا استحضرنا سعة مطالب الديانة واتسارها وتنوعها وتتابعها وتعدد مقاصدها ومراميها . . فالله جل وعلا قدر التشريعات بمقاديرها . . ووضع المطالب في نصابها . . وجعل بعضها مناسبا لبعض . . فتجاوز الوضع الشرعي يفوت الحكم المودعة في النظام الشرعي . . ويلحق بالمكلف العنت والمشقة . . وهذا الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم إنما ذكره لتحذير المكلفين من الأخذ بالدين على هذا الوجه . .

ودل الحديث على أن سبيل الشريعة الذي يطالب المكلف بسلوكه هو السداد . . ومعناه التوسط بين الإفراط والتفريط . .

وأن من لم يحصل له الكمال في الامتثال فليقارب الكمال قدر استطاعته . . وأن من تحرى السداد وقارب
في العمل فله البشرى بما تنوق إليه نفوس الموحدين من نعمة ونعيم ورضا رب العالمين . .

القاعدة الخامسة: "هلك المتنطعون"

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "هلك المتنطعون" قالها ثلاثا .
رواه مسلم (٢٦٧٠)

هذا تهديد للمتعمقين المتكلفين - قولاً أو عملاً - بالهلاك . . وذلك إما هلاك الانقطاع عن الدين من جراء
عناء المشقة الناتجة عن التنطع . . وإما هلاك المآل بسبب ما يخترعه المتنطع من أقوال وأعمال تعود عليه
وعلى غيره بالوبال . . وإما هلاك العذاب الأخروي المعد للمتنتع جزاء تجاوزه الحدود الشرعية بالرأي
والهوى وهذا أقرب المعاني للنص فيما يبدو . . وقد يكون المراد هذه المعاني جميعا . .
وتكرار التهديد تأكيد للوعيد . . وتشديد في النهي . .

وفحوى الحديث ذم التنطع . . وزجر المكلفين عن نهج طريق التنطع . .
وأصل التنطع - غالبا - نزعات نفسية دفينية في أعماق شخصية المتنطع . . لذا تجد المتنطع يجري على
عاداته في الشريعة وفي غير الشريعة من شؤون الحياة . . وتجد متنطعا قبل الهداية وبعدها . . وتجد سماته
الشخصية الأخرى متواكبة مع نزعة التنطع . . وهذا التقرير في تفسير التنطع رأي أراه ولا أنسبه
للحديث . . والله أعلم

القاعدة السادسة: "إياكم والغلو"

روى النسائي (٣٠٥٧) وابن ماجه (٣٠٢٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة العقبة وهو على راحلته "هات القط لي" فلقطت له حصيات هن حصي الخذف فلما وضعتهن في يده قال "بأمثال هؤلاء بأمثال هؤلاء وإياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين" . . صححه ابن حبان (٣٨٧١) والحاكم (١٧١٣) . . وصححه ابن تيمية في الاقتضاء (٢٩٣)

فحوى الحديث التحذير من الغلو في الدين . . وهو مجاوزة الحد الشرعي في امتثال أوامره واجتناب نواهيه . . وأصل الغلو - والله أعلم - الرغبة في الاستكثار من الخير لكن من غير وجهه . . فينتج من جراء ذلك الميل إلى المبالغة في الأخذ بالشرعية على نحو مذموم لا محمود . . فمشكلة الغلو ليست في نفس الرغبة الحسنة وإنما في مجاراتها بغير هدى من الله . . ووجه الأمر أنه ربما تغلب الرغبة الحسنة صاحبها فلا يقيع بما أتت به الشريعة ولا يلحظ الحكم المنطوية في حدودها فيتجاوز الحد الشرعي ظنا منه أنه على خير . . بل ربما أوصله الجهل إلى الكفر من حيث لا يشعر . . قال تعالى "قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه فحبطت أعمالهم فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا" (الكهف ١٠٣) . . وقد بين الحديث الذي بين أيدينا أن هذا داء قديم في الأمم . . وقد تسبب لهم بالخروج عن الشرائع واستحقاق الهلاك . . ومعلوم أن النصارى إنما ولجوا باب الكفر من جهة التزيد في الطاعة والمبالغة في محبة المسيح عليه السلام حتى جاوزوا به الحد الشرعي وكفروا بالله تعالى قال تعالى "يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما

المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا" (النساء ١٧١) . . . وتبعهم على هذا الغلو في الأنبياء والصالحين طوائف من المنتسبين للإسلام مصداقا لقول النبي صلى الله عليه وسلم "لتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه" قيل يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال "فمن؟" - أي فمن هم إلا أولئك. !؟ - متفق عليه (خ ٣٤٥٦ - م ٢٦٦٩) . . . فقامت سوق الأضرحة في كثير من بلاد المسلمين . . . وعبدت القبور من دون الله . . . وحل بالعقيدة الإسلامية خطب عظيم . . . فإننا لله وإنا إليه راجعون . . .

وإذا لحظنا سياق الحديث . . . وارتباط النهي عن الغلو بمحصى الحذف في الرمي . . . علمنا حرص الشريعة على التباعد عن الغلو حتى في شؤون التفصيلات العبادية . . . بله المواقف العقائدية الضخمة التي يترتب عليها ما يترتب من أحكام . . .

واليوم من أخطر أبواب الغلو باب التكفير الذي تستحل به الدماء المعصومة . . . وهذا تالله عند الله عظيم . . . فعن ابن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أيما امرئ قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال وإلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك" متفق عليه (خ ٦١٠٤ - م ٦٠) واللفظ لمسلم . . . وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "سباب المسلم فسوق وقتاله كفر" متفق عليه (خ ٤٨ - م ٦٤) . . . وعن أبي بكر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار" قال

فقلت يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال "إنه كان حريصا على قتل صاحبه" متفق عليه (خ ٣١-٢٨٨٨) . . . وفي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "من حمل علينا السلاح فليس منا" رواه الشيخان (خ ٦٨٧٤-٩٨) . . . وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "أول ما يقضى بين الناس في الدماء" متفق عليه (خ ٦٥٣٣-١٦٧٨) . . . وفي حديث ابن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما" رواه البخاري (٦٨٦٢)

ومحل الغلو في باب التكفير هو ما تجاوز به العبد الحد الشرعي فيه بأن كان بغير مسوغ شرعي . . . أو بلا ثبت واقعي . . . وهذا يحصل للمكلف من جهة الجهل . . . أو من جهة الهوى . . . أو من جهة العصبية . . . فكل من أطلق التكفير على شخص أو طائفة من غير التزام بقواعد التكفير وضوابطه وشروطه . . . وكل من استعمل التكفير غطاء لخصومات شخصية . . . أو حزبية . . . وكل من أطلقه على وجه التغيظ المحض بلا مستند . . . كل من كان كذلك فقد واقع جرما كبيرا . . . ولا بس إثما عظيما . . . أما ما كان من التكفير صادرا عن أهله . . . وبقيوده وشروطه . . . فلا يتناوله مفهوم الغلو . . . بل يرتقي في بعض صورته إلى الوجوب . . . فإن التكفير - الذي هو نسبة شخص أو طائفة إلى الكفر - على درجات . . . وله صور . . . فلا يحسن دمه ولا مدحه بإطلاق من غير تفصيل . . .

وإنما نبهنا على هذا لأن الناس - إلا من رحم الله - في باب التكفير على طرفي تقيض . . . فمنهم غلاة يتهجمون على عباد الله . . . وينقضون عقد الأخوة الإسلامية . . . ويستحلون الدماء المعصومة . . . ومنهم

المفراطون . . الذين تركوا ما شرعه الله في هذا الباب لحكم عظيمة ومصالح عديدة . . ونبذوا الولاء والبراء وراء ظهورهم . . بينما الحق وسط بين الطرفين . .

ومن طوائف الأمة الغالية في التكفير فرقة الخوارج - الذين كفروا المسلمين جزافا - وقد ورد في ذمهم ما يردع المؤمن عن سلوك سبيلهم حتى قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم "هم شر الخلق والخليقة" رواه مسلم (١٠٦٧) . . وفي حديث علي رضي الله عنه ما يكشف القناع عن أهم أسباب غلوهم وضلالهم فقد روى الشيخان (خ ٣٦١١ - م ١٠٦٦) من حديث علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية يرقون من الإسلام كما يرق السهم من الرمية لا يجاوز إيمانهم حناجرهم فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم إلى يوم القيامة" . . فذكر حداثة أسنانهم . . وسفاهة عقولهم . . ليست للوصف المجرد . . وإنما للإيماء إلى أسباب ضلالهم وجراتهم . . والعلم عند الله تعالى .

القاعدة السابعة : "لا تحرموا طيبات ما أحل الله"

قال الله تعالى " يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين .
وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون " (المائدة ٨٧)
في هذه الآية نهى واضح عن الإقدام على تحريم ما أحل الله استحسانا . . واقتراحا . . لأن الإقدام على
مثل هذا يتضمن الاجترار على الله . . وإساءة الظن بشريعته . . والتضييق على عباده . . وتقويت
المقاصد التي اشتملت عليها إباحة الطيبات . . مع ما في ذلك من معاندة دواعي الفطرة . . وإرهاق
النفس بلا فائدة . .

ثم يلحظ في الآية وصف ما أباحه الله بـ "الطيبات" وهذا الوصف يشتمل على الامتنان على العباد
. . وعلى إثبات الحكمة لرب العباد في إباحة الطيبات وتحريم الخبائث . . وعلى إثبات الرحمة لله تعالى في
تضمن شريعته للتوسعة على المكلفين . . مع ما في هذا الوصف من تبشيع لمسلك التحريم بلاينة حيث
يتسلط المنع على الطيبات من الرزق ! . .

كما يلحظ في الآية أنها عقت الإباحة بالتبني على ترك الاعتداء في تناول الطيبات . . بل صرحت بتحريم
الاعتداء . . وذلك لتحقيق التوازن في السلوك الامتثالي للعبد . . وليكون تناول العبد للطيبات جاريا
على مقتضى الحكمة الشرعية لا الغرض النفسي . .

وقد يكون المراد بالاعتداء هنا الاعتداء على الشريعة بتحريم ما أحل الله وهو إعادة لمضمون النهي
السابق . . فيكون ذكره لأجل التصريح بكونه اعتداء . . ثم التصريح بعدم محبة الله لأهله . . وهذا يخدم
غرض النهي السابق في زجر المكلفين عن هذا المسلك . .

ويلحظ في الآية أنها قدمت بين يدي الأمر والنهي النداء بعنوان الإيمان . . وذلك لما في النداء من تنبيه . . ولما في عنوان الإيمان من إيقاظ للضمير الديني . . وتشجيع على الامتثال . . ثم ختمت الآيتين بقوله تعالى "الذي أتم به مؤمنون" وهذا تذكير للعباد بما يقتضيه الإيمان من الثقة بشريعة الله . . والجزم باستيفائها لمصالح العباد . . واستغنائها عن اقتراحات البشر واستحساناتهم . . . مع ما فيه من تذكير بما لله تعالى من قدرة على معاقبة العاصين . . وما عنده من ثواب جزيل للمطيعين . .

القاعدة الثامنة: "دع ما يربك إلى ما لا يربك"

عن الحسن بن علي رضي الله عنه قال حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "دع ما يربك إلى ما لا يربك فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة" رواه الترمذي (٢٥١٨) وصححه ، ورواه النسائي (٥٧١١) مختصرا .

الحديث يؤسس لمنهج شرعي في الموقف من المشتبهات . . فثمة أشياء يشتبه على المكلف حكمها . . إما لقصور علمه . . وإما لتجاذب المسألة أصولا متعددة تحير الناظر في الحكم . . وإما لفقدان العلم بحقيقة واقع الشيء فيتعذر على المكلف معرفة حكمه إذ الحكم على الشيء فرع عن تصوره . . وإما لغير ذلك . . فالمنهج الشرعي في مثل هذه الأشياء أن يدع المكلف ما يرتاب في حكمه ولا يجزم بإباحته . . لأن الترك في هذه الحالة منجاة متيقنة . . ومصدق ذلك من الهدي النبوي حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم وجد تمر في الطريق فقال "لولا أنني أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها" متفق عليه (خ ٢٠٥٥ - م ١٠٧١) . .

المعلم الخامس: عقبات على طريق الدين :

العقبة الأولى: الشيطان

أول العقبات على طريق الدين هو الشيطان . . وقد حكى الله من شأنه مع الإنسان ما حكى . . فبعد أن خلق الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام أمر الملائكة أن يسجدوا له على وجه التكريم فسجد الملائكة إلا إبليس . . . فلقد استولى عليه الحسد وتمكن منه الكبر فمنعه ذلك من السجود . . حتى قال عنادا واستكبارا "أأسجد لمن خلقت طينا" (الإسراء ٦١) . . فكان من عقوبة الله له أن طرده من رحمته . . وأخرجه من الجنة ملعونا مرجوما . . فعندئذ أقسم أن لا يدع طريقا من طرق الإغواء لبني آدم إلا ويسلكه . . وذلك بما مكّنه الله تعالى وأقدره عليه من الوسوسة . . قال تعالى "فوسوس لهما الشيطان" (الأعراف ٢٠) وقال تعالى "من شر الوسواس الخناس" (الناس ٤)

وفي ذكر قصته قال الله تعالى "وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا . قال أأرى لك هذا الذي كرمت عليّ لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا . قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا . واستقرز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا . إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلًا" (الإسراء ٦١) . . وقال تعالى "ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين . قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من

الصاغرين . قال أنظرني إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين . قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين . قال اخرج منها مذؤوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين " (الأعراف ١١) . . وقال تعالى " وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون . فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين . قال يا إبليس ما لك ألا تكون مع الساجدين قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون . قال فاخرج منها فإنك رجيم . وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين . قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون . قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم . قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين . قال هذا صراط علي مستقيم إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين وإن جهنم لموعدهم أجمعين " (الحجر ٢٨)

فتوجه الشيطان إلى آدم وحواء وأغراهما بمخالفة أمر الله تعالى . . حقدا عليهما وانتقاما منهما . . قال تعالى " ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلام من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سواتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين . قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين " (الأعراف ١٩) .

وقال تعالى " وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى . فقلنا يا آدم إن هذا عدوك ولزوجك فلا يخرجكما من الجنة فتشقى إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظلم فيها ولا تضحى . فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى . فأكلا منها فبدت لهما سواتهما وطفقا يخصفا من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى . ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى . قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو " (الآية طه ١١٦) . وقال تعالى " وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم " (البقرة ٣٥)

وقد بين الله تعالى تأثيره على بني آدم فقال تعالى " وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم " (الأنفال ٤٨) . . وقال تعالى " إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا " (آل عمران ١٥٥) . . وقال تعالى " الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء " (البقرة ٢٦٨) . . وقال تعالى " ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون " (الأنعام ٤٣) . . وقال تعالى " تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزین لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم " (النحل ٦٣) . . وقال تعالى " إن الذين ارتدوا على أديبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم " (محمد ٢٥) . . وقال تعالى " استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون " (المجادلة ١٩) . . وقال تعالى " ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين " (سبا ٢٠)

وقال تعالى محذرا منه " يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سواتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون" (الأعراف ٢٧) . وقال تعالى " وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا " (الكهف ٥٠) . . وقال تعالى " إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير " (فاطر ٦) . . وقال تعالى " ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غورا أولئك ماواههم جهنم ولا يجدون عنها محيصا " (النساء ١١٩) . . . قال تعالى " ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين " (البقرة ٢٠٨) . . وقال تعالى " ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا " (النساء ٣٨) . . وقال تعالى " ولا يصدنكم الشيطان إنه لكم عدو مبين " (الزخرف ٦٢) وقال تعالى مبينا طريق السلامة من شر الشيطان " وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون " (الأعراف ٢٠٠) وأوضح النبي صلى الله عليه وسلم ملازمة الشيطان لبني آدم . . وفضح خفاء مكربهم . . ففي حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم " رواه مسلم (٢١٧٤) . . ورواه الشيخان (خ ٢٠٣٥ - م ٢١٧٥) من حديث صفية بنت حيي رضي الله عنها .

العقبة الثانية: النفس الأمارة بالسوء

للنفس البشرية غرائز أودعت فيها لتكون عوناً لها على البقاء . . لكن هذه الغرائز المتوثبة اللوححة إن لم يسيطر العقل عليها . . وإن لم يضبط الإيمان مساراتها . . إن لم يحدث ذلك انقلبت إلى عناصر تدمر ذاتي . . تدمر صاحبها . . وتدمر من يليه . . وانظر لقول يعقوب عليه السلام وهو يخاطب أبناءه متهما لهم بتضييع أخيه يوسف عليه السلام "بل سولت لكم أنفسكم أمراً" (يوسف ١٨) . . وقول السامري معترفا بذنبه "وكذلك سولت لي نفسي" (طه ٩٦) . . وقول امرأة العزيز "وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم" (يوسف ٥٣) . .

لذا نهت الشريعة على خطورة إطلاق النفس في شهواتها . . وحثت على تأديبها وتهذيبها . . قال تعالى "وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى" (النازعات ٤٠) وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله" رواه أحمد (٢٣٩٥٨) وصححه الوادعي في الصحيح المسند (١٠٦٥) . . وهو في سنن ابن ماجه (٣٩٣٤)

مختصراً

العقبة الثالثة: الصحة السيئة

من طبيعة الإنسان أنه يتأثر بغيره من بني آدم . . فكرا . . وسلوكا . . واهتماما . . وكلما كان المؤثر أقرب كان تأثيره أكبر . . ومن هنا كان للصحة الملازمة للإنسان أعظم الأثر على ديانة الشخص . . فالصاحب يساهم في بناء الوجهة العامة للشخص . . ويساهم في إثارة اهتمامه اللحظي . . ويساهم في ترغيبه بشيء . . وصرفه عن آخر . . وإقناعه بقرار . . وتشجيعه على خطوة . . وحثه على تنفيذ فكرة . . ويساعده في المضي قدما في دروب مساعيه . . ويشاطره الذكريات . . والأمنيات . . ويواسيه . . ويفرح معه . . ويصبر عليه . . ويمد يد العون له . . ويحب أقواما لأجله . . ويكره لأجله آخرين . . لذا صار للصاحب موقعا مركزيا في حياة الإنسان . . ودورا فاعلا فيها . . ومن هنا صار من الأهمية بمكان النظر في فكر الصاحب . . وسلوكه . . وأخلاقه . . واهتماماته . . وميوله . . وهواياته . . وطموحاته . . فكل شيء من ذلك سيرتد أثره على الشخص عاجلا أم آجلا . .

وقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم لهذا التحرز والاحتياط في اختيار الصحة . . فقد روى أبو داود (٤٨٣٣) والترمذي (٢٣٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخال " وحسنه الوادعي (الصحيح المسند ١٢٧٢)

...

وضرب لذلك مثلاً فقال صلى الله عليه وسلم " مثل المجلس الصالح والمجلس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد ، لا يعدمك من صاحب المسك إما تشتريه أو تجد ريحه ، وكير الحداد يحرق بدنك أو ثوبك أو تجد منه ريحاً خبيثة " رواه البخاري (٢١٠١) ومسلم (٢٦٢٨) . .

وقد بين الله عاقبة الصحبة السيئة فقال جل وتعالى وتقدس " ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً . لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني ، وكان الشيطان للإنسان خذولاً " (الفرقان ٢٧) . .

العقبة الرابعة: الفساد العام

المناخ المجتمعي الذي يحيا فيه الإنسان .. ويتفاعل داخله .. ويتأثر بثقافته .. ويندمج في رؤيته ..
ويتطبع بطباعه .. ويسرق من عاداته .. هذا المناخ له دور كبير جدا في تدين الإنسان .. وله تأثير
عظيم على رؤيته .. ومساعيه .. لذا كان أعظم تحد يواجهه الإنسان هو السلامة من إملءات المجتمع
الفاسد وتأثيراته ..

والسلامة من مثل هذا لعمر الله عظيمة .. إذ كيف يسلم الإنسان من فساد قد أحاط به .. ودنا من
سمعه وبصره .. وتحين الفرص للولوج إلى قلبه وفكره .. فامتطى الإلف تارة .. وتدنثر بالثقافة تارة ..
وامتزج بالعادات تارة .. ورفع شعار اللهو البريء تارة .. وتلون بكل ألوان السلوك المجتمعي .. ولبس
كل أقمعة الزيف والزور .. فمن أين تأتي السلامة لغريق في مثل هذا البحر الهائج ؟ ! .. اللهم رحماك ..
واليوم ضاعف الشر وفاقمه وسائل الإعلام التي تضخ الضلال في كل اتجاه .. مع كل طرفة عين .. فإثارة
الشهوات دأبها وعاداتها .. وبث الشبهات ديدنها وصنعتها .. قد استعدت في الشهوات استعداد
العروس ليلتها .. وتجهزت للشبهات تجهز الفارس لغزوته .. وجاءها مدد المال من خزائن الدول ..
وتداعت لها أوباش الملل والنحل .. فانفردت بعقل المراهق والمراهقة تعبت بقناعته تارة .. وتثير شهوته
الطائشة تارة .. وتجمع الأمرين تارة ! ! .. وكأنها موكلة بأعمال الشيطان ونائبة عنه ! ! ..

وإذا وضعت هذا الفساد الإعلامي في سياق العلمنة رأيت ما يهولك من شره وضرره .. فإذا رجعت
إليه ووضعت في سياق العولمة العامة رأيت من شره ما هو أفضع وأشنع وأوجع وأفجع .. تالله ما هذا
بفساد عارض تجرأت عليه فطرة منحرفة .. وما هو بفساد تتاجر به مومس أو تكسب منه ساحرة ..

بل هو فساد ميسيس إلى مخ عظمه . . وموجه من ألفه إلى يائه . . ومدرّوس في أعمق مراميه وأدق تفاصيله . .

والقصد أن الفساد العام يهدد تدين الإنسان تهديدا عظيما . . لذا يتعين على من يريد السلامة لدينه أن يتخذ التدابير الوقائية منه . . دونما شطط وغلو . .

وإن من أعظم التدابير الوقائية من الفساد العام الفرار إلى الله تعالى . . والانشغال بأمور الآخرة . . ففي صحيح مسلم (١١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا أو يمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا" . . وفي صحيح مسلم (٢٩٨٤) من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "العبادة في الهرج كهجرة إلى"

العقبة الخامسة : السياسة الظالمة

قال تعالى "إن فرعون علا في الأرض" (القصص ٤) . . وقال تعالى "ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين من فرعون إنه كان عالياً من المسرفين" (الدخان ٣٠) . . وقال تعالى "وإن فرعون لعال في الأرض وإنه لمن المسرفين" (يونس ٨٣) . . وقال تعالى "قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد" (غافر ٢٩) . . وقال تعالى "قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم" (الأعراف ١٢٣) . . وقال تعالى "وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك" (يونس ٨٨) . . وقال تعالى "فأتبعهم فرعون وجنوده" (يونس ٩٠) . . وقال تعالى "إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين" (القصص ٨) . . وقال تعالى "وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد" (غافر ٢٦) . . وقال تعالى "قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون" (الشعراء ٣٥) . . . وقال تعالى "وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلكتك" (الأعراف ١٢٧) . . . هذه الآيات وغيرها تضع ملامح السياسة الظالمة . . العلوي في الأرض . . وفرض الرؤية السياسية التابعة للنظام الحاكم بكل تبعاتها الاقتصادية والعلمية والاجتماعية . . والاستعانة على إنفاذ الأمر بالوزراء . . والجنود . . والملأ . . والأموال . . ثم إكراه الناس بالعذاب المهين . . وغسل أدمغتهم بالشائعات الكاذبة . . والأغاليط العابثة . .

وخلص الأمر أن الدولة الظالمة تستخدم مؤسسات القوة . . وغطاء القانون . . ولسان الإعلام . . في إمضاء رؤيتها . . وفرض وجهتها . . ومن لا يمشى مع سلطان نفوذها تدهسه تحت عجلات المؤسسة الأمنية . . وتدفعه بين أوراق القانون . . وتقيم المآثم عليه في مجالس الإعلام . . وتعظم المشكلة عندما تتخذ الدولة الدين خصما لها جهارا نهارا . . وتسمه بعد ذلك ما شاءت . . فهنا تشكل الدولة بكل مؤسساتها . . وأدواتها . . تهديدا مباشرا للدين المرء . . لأنه يصبح هدفا مشروعاً لبطش مؤسسات الدولة بمجرد تدينه . . والدول الظالمة تتفاوت في موقفها من الديانة . . وتفاوت في التعبير عن موقفها . . وتختلف في سبل معارضته . . فثمة دول تميل إلى ترويضه بشراء ذمم علمائه . . ودول تميل إلى تحطيم قيمته وإذهاب هيبة نفوس الناس . . ودول تميل إلى الشراسة في التعامل مع موضوع الدين برمته . . والدول تختلف كذلك في الخطاب الذي تبرره إقصاء الدين ومحاربه . . وتختلف في صياغة التهم التي تحارب بها الدين وتوسل بها إلى القضاء عليه . . . والقصد هنا أن من أدوات الدولة في محاربة الدين . . ومما يقاس به موقف الدولة . . ودرجة خصومتها للديانة . . ما يتردد في خطابها السياسي عبر أجهزة إعلامها . . وما يشتمل عليه هذا الخطاب من توصيف للدين . . وللمتدينين . . وما يكتنفه من تعليقات . . وتحليلات . . وفتاوى معلبة أحيانا !! لذا فمن أهم ما يستنقذ به المرء دينه الوعي بأبعاد القطيعة أو الخصومة بين الدول والدين . . ومعرفة تأثيرات ذلك على حاله الدينية . . واتخاذ السبل الناجحة في النجاة بدينه . . والاحتياط لعقيدته

وعبادته . . ومن هنا تبرز أهمية فقه الواقع المعاصر . . ومعرفة التكيف الفقهي والعائدي لنوازله
ومستجداته . .

المعلم السادس: نوافذ الضلال:

النافذة الأولى: الشهوات:

الشهوات هي تلك الأشياء التي تشتهيها النفس . . من نساء . . وبنين . . وأموال . . وغير ذلك . .
وميل النفس إليها أمر غريزي . . جعله الله في نفس الإنسان لما في ذلك من حفظ نوعه . . قال تعالى " زين
للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام
والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب " (آية آل عمران ١٤) . . لكن تناول تلك
الشهوات بلامقادير . . ولاضوابط . . يفتح أبواب الشر . . ويقدح شرارة المعارك والحروب حولها . .
لذا جعلت الشريعة تناول تلك الشهوات مبنياً على قواعد . . وجارياً وفق قوانين . . لتأتي على ما في
الشهوات من مصالح . . وتحمي مما ينتج عنها من مفسد . . وتأسيساً على هذا جاء النهي عن الانغماس
في الشهوات . . وجاء التحذير من غوائل تناولها بحسب الهوى لا بحسب قوانين الشريعة . .

قال تعالى " فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا " (مريم ٥٩) . .
وفي الصحيحين (خ ٦٤٨٧ - م ٢٨٢٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
" حجت النار بالشهوات وحجت الجنة بالمكاره " . . وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم " حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات " رواه مسلم (٢٨٢٢) .

ولما كانت بعض الشهوات شراً من بعض . جاء التحذير من أنواع معينة منها إيقاظاً للعباد . . وتنبهاً على
مداخل الشر فعن أسامة بن زيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " ما

تركت بعدي فتنة أضرب على الرجال من النساء " رواه البخاري (٥٠٩٦) ومسلم (٢٧٤٠) . . وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء " رواه مسلم (٢٧٤٢) .

النافذة الثانية : الشبهات :

وهي الأباطيل التي تشبه الحق من بعض الجهات ببادئ النظر . . وإنما يغتر بها الناس بالباطل من أجل جهة الشبه هذه . . والشبهات نوعان كما يلي:

النوع الأول: الشبهات العقلية:

وهي الشبهات التي تصدر عن العقل بمعزل عن الشريعة . . لذا فغالب من يستند إليها أناس لا يؤمنون بالوحي أصلا . . ولا يرفعون به رأسا . .

قال تعالى " وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا . انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا . تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا " (الفرقان ٧)

النوع الثاني: الشبهات النقلية:

وهي الشبهات التي تستند إلى النصوص الشرعية . . وتصدر عن فهم منحرف للنص . . وغالب من يتورط بها أناس لهم سهم في الديانة . . وحظ من العلم . . وعطاء في الميدان . . لكنهم جانبوا المنهج الصائب في التلقي والاستدلال . . وجنحوا إلى الرأي المجرد والهوى . . وما أهل البدع عنا ببعيد . . قال تعالى " هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله " (آل عمران ٧) . .

وروى الشيخان (خ ٤٥٤٧م - ٢٦٦٥) عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية " هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات " الآية قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم "

وعلى وقع الشبهات اختلفت الأمة فرقا عديدة . . ونشأت ظاهرة أهل الأهواء والبدع . . وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عنها . . ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " اختلفت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت أمي على ثلاث وسبعين فرقة " رواه أبو داود (٤٥٩٦) وابن ماجه (٣٩١١) والترمذي (٢٦٤٠) وقال " حسن صحيح " . . وصححه ابن حبان (٦٢٤٧) . . وحسنه الوادعي (الصحيح المسند ١٣١٧) . . والافتراق هنا هو الافتراق في أصول الدين وكتباته . . والمفارقة هي مجانبة الطريقة التي مضى عليها السلف الصالح في تلقي الديانة وفهمها . . والفرق الخارجة عن أهل السنة والجماعة تعتبر فرقا ضالة لكنها لا تكفر بمجرد الابتداع . . ما لم تشتمل بدعتها على مناط مستقل بالكفر . .

ثم اعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد نبه لموطن الشبهات ومظنة الضلالات نصحا لأمة عن تقحمها والتورط في حباثلها . . فعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل " ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية " ما ضربه لك إلا

جد لا بل هم قوم خصمون" (الزخرف ٥٨) رواه الترمذي (٣٢٥٣) وصححه . . ورواه ابن ماجه (٤٨)

. . وأورده الوادعي في الصحيح المسند (٤٧٩)

المعلم السابع: أسباب رد الحق بعد معرفته:

السبب الأول: تقليد الآباء والأجداد تعصبا وحمية :

وهذا داء قديم في الأمم . . لطالما تسبب برفض الأمم لدعوات أنبيائها . . ورد الهدايات من غير برهان ولا أثارة من علم . .

قال تعالى " وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون . قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون " (الزخرف ٢٣)

وقال تعالى " وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون " (المائدة ١٠٤)

وقال تعالى " وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون " (البقرة ١٧٠)

السبب الثاني: طاعة الكبراء والسادة رغبة أو رهبة:

وهذا يقع - أكثر ما يقع - من الجبناء . . والضعفاء . . وذوي النفوس الدنيئة . . والمطامع الرخيصة . .

قال تعالى "يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا . وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيل ربنا أتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا" (الأحزاب ٦٦)
وقال تعالى عن فرعون وقومه "فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين" (الزخرف ٥٤) . .
وقال تعالى "وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص" (إبراهيم ٢١)
قال السعدي في تفسيره "الضعفاء أي التابعون المقلدون" . . . وقال تعالى "ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين" (سبا ٣١)

وقال تعالى "وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار" (غافر ٤٧) . .

السبب الثالث: الاستنكاف عن الحق . . تكبرا على الحق . . أو احتقارا لأهله . . أو

انتصارا للنفس . .

قال تعالى " وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين " (البقرة

(٤٣

قال تعالى " وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا

عتوا كبيرا " (الفرقان ٢١)

وقال تعالى " ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملئه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين "

(يونس ٧٥) . . قال تعالى " ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من

تحتي أفلا تبصرون أم أنا خير من هذا الذي هومهمين ولا يكاد يبين " (الزخرف ٥١) . . وقال تعالى " فقال

الملا الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى

لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين " (هود ٢٧) . . وقال تعالى " ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة

الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام . وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث

والنسل والله لا يحب الفساد . وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبس المهاد "

(البقرة ٢٠٤)

وأعظم مظان الانتصار للنفس الباطل هو الجدل والخصومة لاسيما من ذوي الطباع الغليظة والنفوس
الجافية الجهولة . . وقد روى الشيخان (خ ٢٤٥٧ - م ٢٦٦٨) عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال " إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم "

السبب الرابع: الطغيان الناشئ عن الاغترار بالغنى والإخلاد إلى الترف :

قال تعالى "كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى" (العلق ٦)

وقال تعالى "إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناهم الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين . قال إنما أوتيته على علم عندي" الآية (القصص ٧٦)

وقال تعالى "وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا" (الإسراء ١٦) . . (أمرنا) قيل في معناه أمرناهم بالطاعة أمرنا شرعيا فعصوا . . ورجحه الطبري . . وقيل في معناه أمرناهم أمرا قدريا فوق وقع منهم ما قدر لهم . .

وقال تعالى "وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون . وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين" (سبا ٣٤)

المعلم الثامن : سياجات الدين :

السياج الأول : الدعاء :

لما كان الهدى كله من الله تعالى . . وكانت مقدماته وأسبابه بيد المولى جل وعلا . . وكانت المعونة على التزامه والرسوخ فيه بأمره جل وعلا . . لما كان الأمر كذلك صار الدعاء أعظم وسائل الهداية . . وأجل أسباب الإقامة عليها والثبات فيها . .

قال تعالى " وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون " (البقرة ١٨٦) . . وقال تعالى " أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء " (النمل ٦٢) . . وعن العباس رضي الله عنه قال قلت : يا رسول الله علمني شيئاً أسأله الله تعالى . قال " سلوا الله العافية " فمكثت أياماً ثم جئت فقلت يا رسول الله علمني شيئاً أسأله الله تعالى قال لي " يا عباس يا عم رسول الله سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة " رواه الترمذي (٣٥١٤) وصححه . . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء " رواه مسلم (٤٨٢) . . وقالت عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يستحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك رواه أبو داود (١٤٨٢) وصححه الوادعي (الصحيح المسند ١٥٤٧) . . وعن فضالة بن عبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يدعوني في صلاته لم يجد الله ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " عجل هذا " ثم دعاه فقال له أو غيره " إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد ربه والثناء عليه ثم يصلي على النبي ثم يدعوا بما شاء "

رواه أبو داود (١٤٨١) والترمذي (٣٧٨٤) وصححه الـ . . وصححه الوادعي في الصحيح المسند

(١٠٦٤)

السياج الثاني: الأذكار:

الأذكار وقود الإيمان .. ومصدر الطاقة الدينية .. بها يتزود الإنسان من التقوى .. وبها يعيش العبد علاقته بمولاه .. ومنها ينطلق العقل في رحاب التفكير بالله تعالى .. وفيها يطمئن القلب .. وإليها تسكن النفس ..

لذا كانت الأذكار من أعظم روافد التقوى .. ومن أجل منابع الهدى .. ومن أعظم صور التعبد .. في طياتها الشوق إلى الله تعالى .. وفي ألفاظها ومعانيها تعظيم الله تعالى .. وتمجيده .. وتقديسه .. والثناء عليه .. واستحضار ربوبيته .. وإلهيته .. وأسمائه .. وصفاته .. ووعدته .. ووعدته .. وتقديره .. وتقديره ..

قال تعالى " فاذكروني أذكركم " (البقرة ١٥٢) .. وقال تعالى " واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون " (الجمعة ١٠) .. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم " متفق عليه (خ ٧٤٠٥ - م ٢٦٧٥) .. وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت " رواه البخاري (٦٤٠٧)

السياج الثالث : الاستغفار:

نظرا لطول الطريق .. ولضعف الإنسان .. ولكثرة دواعي العصيان .. ولدنوأسباب الخذلان .. يلم الإنسان بين الفينة والأخرى بالذنب بعد الذنب .. فأما المخذول فلا ترتعد فرائضه من معصية .. ولا يكثر لعقوبة .. ولا يعود إلى رشد .. وأما الموفق المهدي فإنه يحمل حملا ثقيلا .. ويكابد تأنيبا عظيما من ضميره .. ويملؤه الخوف من عقاب الله تعالى .. لذا تجد عودته إلى الله تعالى قريبة .. وندمه على ذنبه كبيرا .. وتوبته عنه صادقة ..

ومن رحمة الله بعباده أن شرع لهم التوبة .. ثم هوجل وعلا يوفق من شاء منهم إليها .. ثم يقبلها منهم بفضله وكرمه ..

وأمر آخر وهو أن من الذنوب ما يخفى .. ومنها ما يعسر على ضمير العبد إدراكه .. ومنها ما يتعذر استدراكه ..

فمن هنا شرع الله لعباده الاستغفار .. الذي يتضمن التوبة إجمالا .. ويشمل الذنوب عموما .. ويتمثل فيه الندم المتكرر على ذنوب متتابعة .. مع ما يستلزمه من عبادات قلبية عظيمة .. وما يكتنفه من أحوال إيمانية جليلة ..

والاستغفار لا يتعلق بفعل الذنب فقط .. بل يتعلق أيضا بالتقصير عن أداء حق الله تعالى والقيام بفروضه على وجه الكمال .. ومن ذا الذي يؤدي حق الشكر كما يليق بجلال الله تعالى على أتم الوجوه ؟ ! .. لذا لم تقتصر فائدة الاستغفار على الذنوب والخطايا .. بل شملت ما يحثف بالطاعات من تقصير .. وما

يتخللها من قصور . . وما لعله يداخلها من رياء . . أو يعقبها من عجب . . فتحصل من هذا أن الاستغفار يجبر الحالة الدينية كلها . .

قال تعالى " واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيمًا " (النساء ١٠٦) . . وقال تعالى " ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيمًا " (النساء ١١٠) . . وقال تعالى " وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون " (الأنفال ٣٣) . . وقال تعالى " والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون " (آل عمران ١٣٥) . . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة " رواه البخاري (٦٣٠٧) . . وفي البخاري (٦٣٠٦) عن شداد بن أوس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت وأبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . من قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة . ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة " . .

تم المراد بحمد الله . . ختم الله لنا ولمن قرأ هذه الرسالة بالجنة . . آمين

الفهرس

العنوان	رقم الصفحة
المقدمة	٢
المعلم الأول: مقدمات أساسية في الدين	٣
المعلم الثاني: القضايا التي يتألف منها موضوع الدين	١٧
المعلم الثالث: ميدان الدين	٦٢
المعلم الرابع: قواعد الدين	٧٥
المعلم الخامس: عقبات على طريق الدين	٨٨
المعلم السادس: نوافذ الضلال	١٠٠
المعلم السابع: أسباب رد الحق بعد معرفته	١٠٥
المعلم الثامن: سياجات الدين	١١٠